

نور عالم خليل أميني

# المساحون في الهند

بين

أكذوبة  
العامانية

خدعة  
الديمقراطية



دار  
الصحوة  
للنشر

محمد خضير

# نور عالم خليل الأميني

مجلد اول

کتابخانه عمومی

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

---

نور عالم خليل أميني

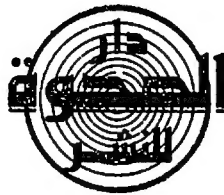
# المُلاحِمون في الهند

بتين

خبرة الديمقراطية والكثرة العلمانية

في

النصف الأول من القرن العشرين





## بسم الله الرحمن الرحيم

### إلى قوة الأخلاق وأدب الضمير أيها المسلمون ! (١)

يبدو أن الهندوس في الهند — مدنيين وحكاما وسلطات —  
قرروا أن يقوموا بتكرير قصة الأندلس — أسبانيا — مع المسلمين  
الهنود ، وأن يقضوا عليهم ويصفوهم جسديا وحضاريا وعقيديا ،  
أو يزجهم إزعاجا يضطرهم إلى الجلاء عن البلاد على بكرة أبيهم ،  
حتى يعود الأسلام في الهند أثرا بعد عين .

مضى على استقلال الهند أكثر من ٣٦ عاما ، ويعيش المسلمون  
الهنود مشكلات لا تعد ولا تحصى ، يضعها الهندوس في طريقهم  
بمختلف سلوكهم الاجتماعي والسياسي في البلاد ، إذ ما أن طلع فجر  
الاستقلال حتى فجروا سلسلة الصدمات الدموية والصراعات  
العنيفة المريرة الحزينة ، التي دأبنا نحن الكتاب أن نطلق عليها  
كلمة « الاضطرابات الطائفية » التي لا تعبر في الواقع عن طبيعتها  
وجوها ومدى شرها وخبيثها تعبيرا صادقا .. الصدمات التي — كما  
قلت أكثر من مرة — أصبحت كالماء والغذاء بتعاطى هذه الصدمات  
أو الاضطرابات لنعيش في هذه البلاد أو لكي نحاول أن نعيش ..

وتأخذ هذه الاضطرابات الطائفية اتجاهات شتى عبر هذه  
الأعوام التي عشناها على أحر من الجمر كانت من قبل تفجر لكي  
تحصد أرواح المسلمين وأجسادهم ، وكان ضياع الممتلكات والأموال  
يأتي في الدرجة الثانية .. لكنها في الأعوام الأخيرة بدأت توقد في  
المناطق والمدن التي أتيح للمسلمين فيها بتوفيق الله عز وجل أن  
يتقدموا بعض الشيء بفضل كدهم وعرق جبينهم تجاريا واقتصاديا  
وأن يزاحموا المواطنين الهندوس بعض الشيء في مضمار الثراء

---

(١) نشر في العدد : ٢٠ / السنة ٧ — يوم ٢٥ / أغسطس ١٩٨٤ م .

والرخاء .. بدأت توقد في هذه المناطق بغية تصفية المسلمين  
الجسدية من جانب ، ونهب أموالهم وإيادة ممتلكاتهم من جانب  
آخر ، وحتى تعود البقية الباقية بعد هذه الاضطرابات الحاصدة  
للأرواح — بصورة عشوائية — عالة عليهم تتكفهم وتعيش على  
رحمتهم ، فيتمكنون من استغلال فقرهم وبؤسهم بصهرهم في بوتقة  
الهندوسية ! ..

وبجانب الاضطرابات الطائفية قاموا دائما بتشويه التاريخ  
الإسلامي في الهند ، واتهام الملوك والسلاطين — ظلما وعدوانا  
وزورا وجهتانا — بالظلم والبطش والتشدد والعنف وعدم التسامح  
بالنسبة للهندوس ، وقد ثبت في ضوء التاريخ بما لا يدع مجالا  
للشك أن الملوك أو السلاطين المسلمين كانوا عادلين ومتسامحين مع  
الهندوس أكثر من اللازم ، ولحد الذي لا يمكن أن يبلغ الهندوس  
عشر معشاره في يوم من الأيام ، ولا يمكن أن يتعاملوا مع مواطنيهم  
المسلمين بهذا التسامح والعادل بصورة من الصور ، لأن التسامح  
والعدل اللذين — تعامل بهما الملوك والأباطرة المسلمون مع رعاياهم  
الهندوس إنما كانا قيسا من نور الإسلام الذي كانوا يتبعونه ،  
وغير الإسلام لا يعرفهما .

وكذلك ظلوا دائما يكيلون السباب لتبنيهم العظيم الخاتم  
سيدنا محمد — ﷺ — ، ويسنيئون الأدب معه في خطاباتهم حيناً  
وكتاباتهم حيناً آخر ، لقد وضعوا ذلك في الكتب الدراسية المقررة  
بالمدارس الحكومية ، وشوهوا فيها التاريخ الإسلامي العام .. ؟

ثم خطوا خطوة أخرى تدل على وقاحتهم الزائدة ، فاتهموا  
كتاب الله ، القرآن المجيد — بأنه يدعو إلى التفارقة العنصرية  
والعرقية ، ويدعو إلى الحرب مع غير المسلم ، وأنه كتاب يعلم بنيه  
الفساد والتخريب والتحريض ، وأنه مادام مضرها له بالطباعة  
والتداول في الهند فلا يمكن أن يقوم الوثام والانسجام بين المواطنين  
الهنود على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ومن ثم تقدموا إلى  
الحاكم الهندية بطلب فرض الحظر قانوناً على طباعته وتداوله ..

ولم يكتفوا بذلك فأضافوا اتهامهم للمسلمين بأنهم غير صادقى  
الولاء للهند ، وأن وطنيتهم مشبوهة ، وقوميتهم مخدوشة ، وأنهم  
يحبون باكستان أكثر من الهند ، وأنهم يرغبون فى السعودية وفى  
مكة والمدينة وفى البلاد الإسلامية أكثر مما يرغبون فى دلهى وبومبائى  
وكالكونا ومدراس وغيرها كما زعموا دونما دليل وعن غير حق — أنهم  
سباقون فى خدمة الوطن وتتميته ، وأنهم حدهم حاربوا الاستعمار  
الإنجليزى وخاضوا معركة تحرير البلاد ، على حين أن نصيب  
المسلمين دائما كان ولا يزال أكثر من نصيبهم فى كل ذلك .. وقد  
صدق تاريخ الهند أن الشعب المسلم لم يخن بلاده أبدا ، ولكنه  
شهد بخيانتهم لبلادهم مرات كثيرة .. وشهد أن المسلم ضحى  
بنفسه وماله فى خدمة الوطن وصيانتة فى أخطر المواقف وأخرجها  
عند ما قبعوا فى بيوتهم ، وأنه حمل القناة مدافعا على حين كانت  
أيديهم لا تحمل تسوى الخناب .

ولقد تبادروا إلى الاستيلاء على مساجد المسلمين وحولوها  
إلى معابد لهم ، وزعموا فى مئات من المساجد — دونما وثيقة  
تاريخية — أنها كانت معابد لهم ، أو مساقط رؤوس آلهتهم ، فهدمها  
الملوك المسلمون وحولوها مساجد ، من بينها المسجد البابرى فى  
مدينة « أجودھيا » فى ولاية « اترابراديش » الذى استولوا عليه  
بتغاض من الحكومة المحلية والمركزية وبأمر من المحكمة المحلية ،  
وبصورة لا شرعية ، وبقوة كونهم أغلبية وأصحاب سلطة ، وظلت  
العلمانية التى تتبناها الحكومة الهندية مشدودة الأيدى والأرجل  
ومكبوتة اللسان ..

وصاح المسلمون لذلك عبر الكتابات والخطابات والصحافة ،  
ولكن بقيت الحكومة والزعماء والسلطة ساكنة ساكنة لا تتبس ببنت  
شفة ولا تتحرك خطوة ، وقد ضحى المسلمون عبر مدة سنتين أو  
أكثر بأنفسهم وأموالهم فى كثير من مناطق البلاد ، ولما رأوا أن  
صوتهم صار نداء فى واد ، قرروا ألا يشتركوا فى الاحتفال بيوم



الجمهورية الهندية الذى يصادف ٢٦ / يناير كل عام احتجاجا سلميا منهم ٠٠ فقام الهندوس — والمسلمون العلمانيون القوميون المزعومون — عبر الصحافة والإذاعة — وقعدوا ، وبدأوا يتهمون المسلمين بكونهم أجانب يتحتم إجلأؤهم من الهند وأن الزعماء المسلمين الذين نادوا بذلك يجب إعدامهم شنقا ، أو نفيهم من البلاد، أو على أقل تقدير سحب عضويتهم للبرلمان إذا كانوا أعضاء فيه ، أو عضويتهم من الأحزاب في آخر الأمر ٠٠

وبصرف النظر عن كون الدعوة إلى عدم المشاركة في الاحتفال بيوم الجمهورية دعوة شرعية — وقد ثبت أنها شرعية فقد قام بها عمليا أبو الأمة المهاتما غاندى — نسأل هؤلاء الزعماء الهندوس وغير الهندوس : أين كنتم عندما استولى الهندوس على المسجد البابيرى بصورة لا شرعية ؟ لماذا لم ترفعوا أصواتكم عندها ؟ لماذا توقفت أعلامكم ، ضاع عندكم العدل والإنصاف ، ونامت فيكم الوطنية ، خانتكم عندها العلمانية ، وفارقتكم روح المساواة وحب التسامح ؟

ليعلم المواطنون الهندوس أن المسلمين لن ينسحبوا من الميدان، وأنهم لن يجلوا من البلاد ، وأنهم لن يتنازلوا عن شخصيتهم الإسلامية ومميزاتهم الدينية ، ولن يتخلوا عن أدنى ما يمت إلى حضارتهم وثقافتهم بصلة ، وأن وطنيتهم أصدق بكل دليل ألف مرة من وطنيتهم ، وليعلموا أن ذلك ليس طريق التعايش السلمى الذى تقرره الأخلاق والآداب والقوانين الدولية للأغلبية حتى تتعامل بها مع الأقلية ، وليتأكدوا من أن التطرف لن يولد إلا تطرفا أعنف منه ، وأن الظلم عاقبته وخيمة ، وأن العنف يؤدي إلى عنف أشد ، وأن مجتمعا ما لا يزدهر على العصبية والتناحر والتمزق الداخلى وبطش الأغلبية بالأقلية ، وعلى قانون الغابات ، وأن الله — خالق الأرض والسما — مالك الهند والصين وروسيا وأمريكا واليابان والباكستان وكل البلاد — لا يحب الفساد فى الأرض ٠٠ وأن الأمة لا تنمو فقط بقوة العدد والعدد بمثل ما تنمو بقوة الأخلاق والمواطنة وأدب الضمير وروح الإنسانية والعدل والتسامح ٠٠

## محنة المسلمين في الهند (١)

يبدو أن المسلمين في الهند قد كتب لهم أن لا يتخلصوا من محنة إلا ويتورطوا في محنة بل محن أخرى أشد منها .. كانت النار التي يشعلها المواطنون دائما في مدينة أو قرية في أرجاء البلد ليحصدوا من خلالها أرواح إخوانهم المسلمين وممتلكاتهم ، والتي يطلق عليها اسم « الاضطراب الطائفي » هذا الاسم الذي لا يعبر عن طبيعتها وحقيقتها تعبيراً صادقا ، كانت تلك النار للمسلمين كوجبتى الغذاء والعشاء اللتين من اللازم أن يتناولهما المسلم لكى يعيش !!

ثم جاء دور النيل من كرامة الإسلام والإساءة إلى نبيه عليه الصلاة والسلام في الصحف والمجلات ، في الكتب والمؤلفات الدراسية وغير الدراسية ، واكبه الهجوم على القانون العائلى للإسلام والإسلام الشخصية للمسلمين ، ومحاربة اللغة الأردية التي اختارها المسلمون كوعاء للثقافة والعلوم الإسلامية في هذه الديار — بعد ما طوى بساط اللغة الفارسية — رغم أنها لغة وطنية أصلية ومشتركة ، وخلال ذلك حلا لبعض الهندوس في « كلكتا » عاصمة البنغال الهندية ، أن يعرض مذكرة في المحكمة العالية يتحدى من خلالها قدسية القرآن زاعما أنه يحرش بين المواطنين ويدعو إلى الفرقة والشقاق ، وقد أثبتت الحكومة الإقليمية والحكومة الهندية المركزية تعقلها فأصدرت على الفور أمرا رسميا عاجلا جدا إلى المحكمة برفض المذكرة دونما تأخير ، وقد سمعت المحكمة وأطاعت من ساعتها .. مما دل دلالة واضحة على أن الحكومة تستطيع أن تحل كل مشكلة في ظرف أيام إذا صحت نيتها وصدقت إرادتها ، وأن قضية ما لا تصير صعبة الحل إلا بشيء

---

(١) نشر في العدد : ١٩ / السنة ٧ — يوم ٨ / أغسطس ١٩٨٤ م.

كثير من الاهمال والمماطلة الذين تلجأ إليهما الحكومة تحت ضغط من العناصر المتطرفة حيناً وجرياً وراء مصالحها حيناً آخر ..

ولقد تبلور ذلك في موقفها من الأحوال الشخصية ، ومن الوضع المكهرب الذى خلقه حكم المحكمة العليا الهندية بوجوب النفقة للمرأة المسلمة المطلقة على زوجها فيما قبل العدة وما بعدها ، حيث إنها أعملت من التأجيل واللف والدوران ما زاد الوضع سوءاً ، وعقد القضية أكثر من الحد المعقول ، وأتاح للمحاربين للإسلام والصائدين فى الماء العكر ، والمستغلين لوضع الظلام والضباب أن يثيروا غبار الشكوك فى وسط المتتورين والتقدميين والمتحررين من المنتهين إلى الإسلام ، حتى تتقوى المطالبة بتنفيذ القانون المدنى الموحد .

هذا فى جانب وفى جانب وفى جانب آخر آثار هذا الموقف من الحكومة شكوكا فى أوساط جمهور المسلمين فى كونها حيادية ومخلصة فى إعلانها عدم التدخل فى قضية الأحوال الشخصية للمسلمين ..

غير أن المسلمين تحت إشراف زعمائهم وقادتهم الدينيين ظلوا صفا واحدا وصوتا واحدا فى مطالبة الحكومة بإعطائها الشريعة الإسلامية ضمان الصيانة وعدم التدخل بصورة من الصور .. ولا يزالون ساهرين على هذه المطالبة تحت هيئة مستقلة ذات فعالية مثالية باسم هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين ، التى أقامها وقام على إدارتها أبناء الجامعة العريقة — دار العلوم — ديوبند — التى كانت المعقل الإسلامى الأكبر ، وكانت لها الريادة فى خدمة الإسلام والمسلمين فى هذه القارة الهائلة ، ولا يزالون هم العمود الفقري فى الهيئة بتوفيق الله .. وبدأت جهودهم المتسمة بالصمت والهدوء والاستمرارية المتسمة بالإخلاص — وهو ضمان النجاح فى كل قضية — تعطى ثمارها ، وسيأتى يوم يفرح فيه المؤمنون بنصر الله .

وتلا ذلك كله حركة السيطرة على مساجد المسلمين العريقة فى

كثير من المدن — بالإضافة إلى حركة تشويه تاريخ الحكم الإسلامى فى الهند واختلاق التهم ضد الملوك المسلمين بالظلم واللاعـدل واللامسامحة ، واصطناع الوثائق لذلك — بزعم أنها كانت فى الأصل معابد لهم فهـدمها الملوك المسلمون وبنوا على أنقاضها مساجد .. ويزعمون ذلك دونما وثيقة تاريخية فى مئات من المساجد العريقة ذات الأهمية فى كثير من المدن الكبيرة فى الهند •

كان من بينها « المسجد البابرى » فى مدينة « أجودھيا » بـمدينة « فیض آباد » بالولاية الشمالية المدعوة بولاية « اترابراديش » الذى بنـاه « مير باقى » أحد ضباط الملك « بابر » حفيد تيمور لك ومؤسس الدولة المغولية التى كانت أكبر الدول الإسلامية فى الهند وأطولها زمانا وأقواها بنيانا وأكثرها تأثيرا وأبقاها آثارا وأخلدها ذكرا وأرقاها حضارة ، وكان من ملوكها الملك الصالح « أورنگ زيب عالمكیر » المتوفى ١١١٨ هـ الذى يسميه المؤرخون الإسلاميون الثقات بسـدس الخلفاء الراشدين ، بعد خامسهم عمر بن عبد العزيز الأموى ، وذلك عام ٩٣٥ هـ على أمر من ملكه كما يدل على ذلك اللوح الحجرى المنصوب على واجهة المسجد الذى يتضمن أبياتا فارسية تبين تاريخ بناء المسجد واسم بانيه ..

وظل المسجد منذ بنائه عام ٩٣٥ هـ الموافق ١٥٢٨ م يعبد فيه لله وحده ، ويذكر اسمه ، ويرفع ذكره ، حتى جاء عام ١٢٧١ هـ فوضع بعض الهندوس بمؤامرة محبوكة تماثيل بعض آلهتهم فى المكان المعبد للوضوء فى جانب المسجد ، وزعموا أن هذا المكان هو مولد إلههم « رام » وكان العهد عهد « واجد على شاه » الشيعى آخر أسرياء ولاية هذه المنطقة المسماة بولاية « أودها » وآخر حكامها المسلمين ، ولكن هذا الحادث الأليم لم يحرك منه ساكنا ، بل حاول بتعاون من الإنجليز أن لا يثور المسلمون لذلك ، بل إنه قاوم بجنوده المجاهدين من العلماء الذين هبوا لتطهير المسجد من

الأصنام ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم النبيلة واستشهدوا في سبيلها ، ومن هذا الوقت بقيت نواة الفتنة ، ونهض الهندوس يزعمون أن المسجد هو مولد إليهم « رام » وأن الملك المسلم « بابر » بناه بهدم المعبد الذي كان في هذا المكان .

وأخيرا رفعوا الدعوى إلى المحكمة واشتد الصراع بين المسلمين والهندوس فأقفلته الحكومة عام ١٩٥٢ ، ولا تزال المحاكمة جارية في المحكمة العالية في مدينة « اله آباد » ولم تبت المحكمة إلى الآن بكون المسجد ملكا للمسلمين حتى يسلم إليهم ويسمح لهم بالصلاة والعبادة فيه ، أو بكونه معبدا هندوكيا ومولد « حتى يسلم للهندوس .. ولكن محكمة المديرية وسلطانها قد فتحت باب المسجد على مصراعيه وسمحت للهندوس بالعبادة فيه في ١٩٨٦/٢/١ م يوم السبت الموافق ١٤٠٦/٥/٢٠ هـ وذلك بضغط من الهندوس وبالإنحياز إليهم ضاربة عرض الحائط بأهمية المحكمة العليا ، وكل القوانين الخلقية والاجتماعية ، ومتغاضية عن الأوضاع المكهربة في البلد ، وعن وحدة البلاد وعلانياتها وجارحة شعور الشعب المسلم الهندي ..

وكان الهندوس منذ عامين قد سعدوا حركة الاستيلاء على المسجد ونظموا لذلك موكبا كبيرا جال مختلف أنحاء البلاد يحمل معه تماثيل « رام » وزوجته « سيتا » وألقى قادة الموكب في كثير من المدن والقرى الجامعة خطبات نارية مثيرة لعواطف الهندوس الدينية وجارحة لمشاعر المسلمين في وقت واحد ، وهددوا الحكومة ، وحددوا تاريخا وطالبوا الحكومة أن تفتح المسجد وتسلمه إليهم في ظرف هذه الأيام ، وإلا فإنهم سيستولون عليه بقوة الساعد والسنان ويقدمون لذلك كل تضحية ..

وكان من الطبيعي أن يثور المسلمون لذلك في طول البلاد وعرضها وأن يحتجوا ضد هذه اللاشريعة والملاعدل واللا أخلاقية

التي أثبتتها السلطة المحلية ومحمتها السافلة التي ليس لها قيمة  
في مقابل المحكمة العليا تلك التي لم تثبت في القضية بلا أو نعم •

ولقد كان من الطبيعي كذلك أن يقع الصدام بين الهندوس  
والمسلمين في أنحاء البلاد ولا سيما المديریات المجاورة للولاية ،  
حيث كان الهندوس يقيمون حفلات الفرح بينما كان المسلمون  
ينظمون مواكب الاحتجاج والمظاهرة ، ورغم أن قادة المسلمين  
أعلنوا التعقل وضبطوا أعصابهم ، وسيطروا على مشاعرهم المتفجرة  
كالبركان ، وأخذوا الشعب المسلم بالصبر وإعمال المحكمة والتقيد  
بالشرعية وقانون الأمن والنظام ، وخوض المعركة بسلاح القانون  
وسلاح الوثائق التاريخية التي تؤيدهم إلا أن سحق المسلمين وفرحة  
الهندوس لا تزالان تتفاعلان في كثير من الأمكنة •

وتفيد الأنباء الواردة من أنحاء البلاد أن جميع المدن والقرى  
أصبحت اليوم مكهربة ، وأن رجال البوليس والشرطة نشيطون في  
كل الأمكنة للسيطرة على الوضع •

والمسلمون كل اعتمادهم على الله ثم على الوثائق التاريخية  
التي تصرح بكون المسجد مبنيا على مكان شاغر وأنظارهم مشدودة  
إلى الحكومة المركزية والإقليمية ومحاكم البلاد ، ينتظرون بفارغ  
الصبر أن تتمسك الحكومة بالقانون ، وتحكم المحاكم بالعدل  
وتلتزم الحياد !! والله وحده ولي المسلمين في هذا البلد وفي كل  
مكان •

لقد كان من المكن أن تهون مصيبة المسلمين — لو أن الهندوس  
سيقتصرون على المسجد البابري هذا ، ولكن الذي يزيدهم هما على  
هم مطامع الهندوس التوسعية في شأن مساجدهم لا تقف عند حد ،  
لأنهم يزعمون أن هناك مئات من المساجد التي كانت معابد لهم  
فحولها الملوك المسلمون مساجد ، فلا بد من إعادتها إلى سيرتها  
الأولى •



## استمرار الاضطراب الطائفي (١)

يبدو أن الاضطرابات الطائفية والاشتباكات الدامية بين الهنالك والمسلمين ، صارت شيئاً طبيعياً يمارسه الشعب الهندي كالماء والهواء أو داء مستشري لا ينفع فيه دواء ، فلا ينطفيء حريقها في مكان إلا ليقع في مكان آخر ، وفي الأغلب يمتد لهيبه إلى الأمكنة المجاورة ، وينتشر في مساحة واسعة انتشار النار في الهشيم .

وعاد الشعب المسلم الهندي يعيش دائماً وفي طول الهند وعرضها وضعا مخوفاً قلقاً ، لا يدري في أي وقت يقع حريق الاضطراب والصدام بينه وبين إخوانه المواطنين من الهندوس ، فيأتي على الأخضر واليابس من كل ما عنده من مال وعرض ، وبيت يؤويه ، ودكان يتكسب به ، ويبيد في لحظة واحدة ما جمعه في سنين وأعوام .

كانت مناطق الشمال — التي تلاصق المناطق التي قامت فيها دولة باكستان — وبعض مناطق الجنوب التي كانت تحت إمارة « حيدر آباد » هي مسرح الصدام بين الهندوس والمسلمين ، والمناطق الأخرى كانت إلى حد كبير في مأمن منها ، ثم أضحت بعض مناطق ولاية « بيهار » في شرقي الهند مسرح الاضطراب الطائفي ، وصارت ذات حساسية زائدة تشتعل فيها فتيلة الصدام بين الطائفتين بأدنى مسة ، بسبب أن المواطنين الهندوس في تلك المناطق يبدو أن طينتهم قد عجنّت بغلظة ، وحساسية دينية أكثر ، مع سرعة الغضب ، والثورة وضيق الأفق ، نلمس كل ذلك في كثير من مواقفهم في الحياة المختلفة، لهذا تكررت الصدامات بين الهندوس والمسلمين في « جمشيد بور » وفي مناطق « سيقامرهي » و « رانتشي »

---

(١) نش في العدد : ١٨ / السنة ٧ — يوم ٢٥ / يوليو ١٩٨٤ م .



و « هزاري باغ » و « كيا » و ( بورنيا ) وأخيرا في ( بيهار شريف ) •

ثم أضحت كبرى مناطق ولاية « اترابراديش » مجالا خصبا للاضطرابات الطائفية ، وفي بعضها أخذت صورة حرب أهلية شديدة مثل مدينة مراد آباد الصناعية ، ومدينة « ميرتها » التي تعرف بصناعة المقراض ، ومدينة « عليجراه » التي تختزن الجامعة الإسلامية العصرية و « أكرا » التي فيها « التاج محل » الدرة اليتيمة في فن البناء والهندسة ومدينة « سنيهل » التي أحرق فيها إمام مسجد في مسجده مع أوراق المصاحف ، ومدينة « بنارسي » المقدسة لدى الهندوس •

ومنذ أعوام امتد لهيب الاضطراب إلى مناطق الجنوب وتكررت الصدامات الشديدة في « أحمد آباد » و « حيدر آباد » • والمدن المجاورة ، « وماليكاون » و « بونا » و ( بنكلور ) و ( بروده ) •

وأخيرا وقع الصدام — الذي كان كحرب مسلحة — في مدينة « بهيوندي » ( BHIWANDI ) المجاورة لمدينة « بومبائي » وامتدت مساحته إلى ( بومبائي ) نفسها ، وكانت المدينة وما جاورها من الأمكنة معروفة بأمنها وهدوئها ، وحب أهاليها للسلام ، واحترامهم للنظام ، وتقيدهم بالقانون العام ، وإذا كانت المدن الكبرى في الهند قد ذاقَت مرارة الاضطرابات بصورة أو بأخرى ، فإن « بومبائي » كانت مضرب المثل في أمنها وهدوئها إلى الآن ••

وإذا كانت كل الاضطرابات الطائفية بين الهندوس والمسلمين قد سببت خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات الشخصية والقومية ، فإن ما وقع ولا سيما في مدينة « بهيوندي » كان عملية وحشية لا ينساها تاريخ هذا البلد ، حيث زج بأكثر من عشرين مسلما إلى غرفة ، وأحرقوا فيها أحياء ، ولقي أكثر من ثلاث مائة شخص مصرعهم خلال هذه الصدامات الدموية في المدينتين •

هذه أسماء مدن ومناطق ذات حساسية ، اطردت فيها  
الاضطرابات ، أما كان المدن والقرى التى عانت منها فإنها تعد  
بالآلاف ، فقد لا يمضى فى البلاد يوم لا يقع فيه اضطراب ، حتى  
أصبحت الاضطرابات والاشتباكات تستنفد الكثير من جهود الحكومة،  
وإمكانياتها وقدراتها بجانب إضاعة الطاقات البشرية والكفاءات  
والأهليات التى لو استغلت فى الايجابيات لأنت بكثير مما ينفع ،  
ويساعد على تقدم البلاد ونموها ••



## الجيل الهندوكى الجديد (١)

### لا يرى للمسلم الهندى حق البقاء فى الهند

إن الاضطرابات الطائفية توشك أن تؤدى بالبلاد إلى حرب أهلية ، فلا تكاد تهدأ نارها أو يخف أوارها إلا بتدخل الشرطة المسلحة والجيش ، وبعد أن تكلف خسائر ضخمة فى الممتلكات القومية والشخصية ، بجانب الضحايا البشرية .

وإذا رحت لتدرس الأسباب الدافعة إليها فستجد جلها نابعة من النظرة الضيقة التى ينظر الهندوس إلى المسلمين فى إطارها ، نظرة فيها الاحتقار والكرهية التى توارثوها جيلا بعد جيل ، فالمسلم عندهم نجس صوته ، وجسمه ، وثيابه وأوانيه ، ولذلك فالهندوكى لا يأكل فى إناء أكل فيه مسلم ، ولم أنس القصة التى وقعت لى مع نساء من الهندوس فى قريتي وأنا طفل فى السابعة من عمرى أو أقل منها ، ومعى أختى الكبيرة . كانت بعض نسائهم ينزعن الماء من بئر ، فنزلنا إليهن لنشرب الماء وأمسكت فى سرعة بدلو فى يد إحداهن فى بساطة الصغير حين يعامل فى بعض مواقف الحياة ، فما راعنى إلا الزجر الشديد الذى تعالت به أصواتهن المنكرة فى وقت واحد ، مما أدخل على قلبى الصغير من الخوف ما لا يمكن وصفه الآن ، وأخذت الرعدة تتمشى فى جسمى ، فلما أفقت سألت أختى عن سبب المعاملة التى قوبلنا بها منهن ونحن صغيران فقالت : أنت مسست بيدك دلوهن ففتجست ..

وإذا كانت الأحوال قد تغيرت كثيرا بفعل الحضارة والعلم والتربية التى أخذوا بطرف منها ، وبدأوا يأكلون مع المسلم وفى

أوانيه ، وقد يتناول بعضهم منهم الأطعمة المطبوخة لدى المسلم ، فإن العقيدة الراسخة في عمق العقلية الهندوكية ، لا تزال تعمس عملها ، ولا يكاد حتى المتحضرون منهم والذين اتسع مكرهم عن طريق الدراسة والثقافة لا يكادون يبارحون هذه العقيدة .

وهناك أسباب أخرى قد يمكن أرجاعها إلى السبب السابق ، فالهندوس يعتقدون — عن عصبية عمياء — أن المسلمين دخلاء عليهم توافدوا من الخارج وحكموهم سبعة قرون أو أكثر ، وغطوهم حقوقهم ، وغضبوا منهم هذه الملايين التي أسلمت وكانت من قبل هندوسا ، وأن الملوك المسلمين لم يتعاملوا معهم بقانون العدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية ، وأنهم سلبوهم حريتهم الدينية والاجتماعية ، وكان المسلمون في زمنهم سادة وهم عبيد ، وكانوا مستعمرين — وأشد استعمارا من الإنجليز ، وأن العهود الإسلامية في الهند كانت عهودا مظلمة ، لم تشهد فيها البلاد تقدما أو ازدهارا أو رفاهية بالقياس إلى البلدان الأخرى في العالم .

ولقد عمل الإنجليز بدورهم على غرس هذا الشعور في أذهان الهندوس ، ولا سيما في عهدهم الأخير ، حينما بدأوا يحسون نهايتهم وسقوطهم وجلاءهم عن الهند ، وحينما بدأت تباشير الاستقلال ، أكدوا لهم بأساليب شتى ، أنهم كانوا عبيدا ، وكان المسلمون ملوكا وكانوا يعيشون استعمارا شديدا وحذروهم من أن يقعوا فريسة الاستعمار المسلمين الذي سبق استعمارهم لأن المسلمين خطرهم الدائم وعدوهم القائم .

هذا الشعور الذي نجم في العقلية الهندوكية خلال معركة تحرير الهند ، قد شب ونما خلال أيام الاستقلال ، ونضج فيما بعده ، فألفت كثير من الكتب ، ودخل عدد كبير منها في المقررات الدراسية الرسمية ، تنفث هذه السموم في الجيل الناشئ للهندوس ، بجانب أساتذة المدارس والجامعات الهندوس الذين دأبوا على

اختلاق مزيد من الأكاذيب في محاضراتهم الدراسية ينمى في قلوب التلاميذ الحقد والعداء والكراهية ضد الإسلام والمسلمين .. وبجانب حركات ومنظمات هندوكية متطرفة تشعل عاطفة الهندوس الدينية ، وتضرب على وترهم الحساس وتدعو لإخلاء البلاد من المسلمين الدخلاء ، و « هندكة » الهند بإقامة دولة هندوكية ، تنفذ جميع الشرائع الهندوكية ، ولا مجال فيها إلا لمن يعيش منصرها في بوتقة العقيدة الهندوكية والتيار الهندوسى •

الجيل الهندوكى الذى عاش مع المسلمين في معركة التحرير ، أو قبلها والذى كان يقر للمسلم بالفضل لهذه البلاد ، فقد رأى شدة بلائهم وصدق ولائهم للوطن خلال معركة التحرير ، هذا الجيل قد انقرض أو كاد أن ينقرض تماماً ، والشعب المسلم الهندى اليوم يواجه جيلاً شب على هذا الشعور البغيض ، فلا يرى للمسلمين حقاً في البقاء في الهند •

لو أن إخواننا الهندوس أنصفوا ، لعلموا أنهم هم الآخرون دخلاء وافدون على هذا البلد ، جاؤا قبل المسلمين بقرون من العراق أو من حوض البحر الأبيض المتوسط — على اختلاف المؤرخين — وليسوا سكان البلد الأصليين كما يزعمون ، وكل الفارق بينهم وبين المسلمين أنهم سابقون والمسلمين لاحقون ، ولعلموا أن المسلمين منحهم دولة موحدة وكانت الهند قبلهم إمارات موزعة متصارعة ، وأنهم أخرجوهم من ظلمات البداوة والهمجية إلى نور الحضارة والتقدم ، وانتشلوهم من الحياة البدائية السخيفة — التى لو كشف عنها القناع لضحك عليها الإنسان اليوم — إلى حياة راقية مهذبة ، بالإضافة إلى أمن وسلام ، وحب ووثام ونظام كان كله رحمة بهم ، وعاشوا في العهد الإسلامى الهدوء والسلام والعدل الذى لم يعيشوه في عهد الإمارات المفككة •



## نحو دراسة لأسباب الاضطراب الطائفي (١)

يرى الهندوس أن المسلمين بعد استقلال البلاد فصلوا منها جزءا كبيرا وأقاموا فيه دولة إسلامية باسم باكستان ، فليكن الجزء الباقي دولة هندوكية خالصة ، ولينسحب المسلمون منه إلى دولتهم ، ومن منطق هذا الشعور يشك الهندوس دائما — ويشككون الآخرين — في ولاء المسلم الهندي للهند ، ويقولون إنه ليس مواطنا صادقا ، لأنه يحب باكستان أكثر من الهند ، ومحط نظره هو العالم العربي والعالم الإسلامي والسعودية ، ويعيش في الهند وقلبه معلق دائما بمكة والمدينة ، وإن خدمته للوطن مشكوك فيها ، وخدمته للمصلحة الوطنية المزعومة حباله خداع ، ونحن المواطنون المخلصون الذين يعملون ليل نهار لتنمية البلاد ، بينما هم لا يعملون إلا للإسلام ، ولا يفكرون إلا في باكستان .

وزاد الطين بلة ما وقع من حادث إسلام عدد من الطبقة المنبوذة من الهندوس — طبقة « الشودر » — التي يعتقد فيها الهنادك أن الإله « برهما » قد خلقها من قدميه ، وجعلها خادمة للطبقات الثلاث : البراهمة التي خلقها « برهما » من وجهه وعهد إليها بالأمور الدينية ، والكستريين التي خلقها من ذراعية وعهد إليها بالإدارة والجندية ، والويشي التي خلقها من فخذه وعهد إليها بالزراعة والتجارة .

كانت طبقة الشودر المنبوذة مقتنعة راضية بما قسم لها الإله وأسند إليها من الوظيفة ما لم تر نور العلم والحضارة والثقافة ، ولكن تغير الحال بعد ما انفتحت عينها ، ونورت الثقافة الظلام الذي غشى أكوأخها ، واطلع المثقف منها عن طريق الدراسة على ما يتميز به الإسلام من مساواة وعدل اجتماعي واتزان ديني ، وقارنت بين



الإسلام وبين ديانتها التي حرمتها المساواة ، وفرقت بينها وبين أبناء عقيدتها الآخرين ، حتى فيما يتعلق بأبسط مبادئ الإنسانية والعدالة الاجتماعية ، فأرادت أن تأوى إلى شاطئ الإسلام نجاة من الأمواج المتلاطمة من الظلم و غمط الحقوق ، والاستبداد وسوء الاستغلال ، والذل والمهانة ، التي لقيتها من أبناء ديانتها ورضيتها لها ديانتها •

وهناك آثار الهندوس ضجة ، وقالوا : إن ثروة البترودولارات التي تفيض بها دول الخليج العربية الإسلامية تهرب إلى الهند عن طريق المسلمين الهنود ، لتصيد السذج من الهندوس ، واشتراء دين الفقراء والبرصاء منهم بالمال والثروة ، وأن هذه الدول الإسلامية والعربية تمول الجهات الإسلامية والتبشير الإسلامي في الهند ، وتصدق عليها خزائنها في سخاء ، وأن ذلك كله يتم تحت خطة مدروسة مبيتة لتحويل الهند إلى دولة إسلامية عن طريق تحويل الأغلبية مسلمة •

فنشطت الحركات والمنظمات الهندوكية المتطرفة القديمة ، كما قامت حركات ومنظمات جديدة ، كلها تطلب من الحكومة أن تتخذ اجراءات وقائية لصيانة الهندوكية من الإسلام ، وأن تقرض الحد على تبديل الديانة بوضع قانون مستقل ، وهذه الحركات ، تقيم دائما حفلات وندوات في أقطار الهند ومدنها المركزية وقرأها الهامة ، تؤلب الهندوس ضد المسلمين وتوحدهم وتنظمهم وتدريبهم على الرياضة العسكرية ، وتعد ما تستطيع من قوة لمحاربة الإسلام المستشري في الهند •• ويلقى زعماءها وقادتها خطبا ملتهبة ضد الإسلام والمسلمين ، تثير عاطفة الهندوس الدينية ، كما تثير غيرة المسلمين وحفيظتهم ، فيقع الصدام •

والشيء الجدير بالملاحظة والتسجيل أن ثروة دول الخليج العربية لا يحظى المسلمون الهنود منها بعشر معشار ما يحظى به

الهندوس ، وذلك أن معدل العمال والموظفين المسلمين قليل جداً بالقياس إلى العمال الهندوس ، فقد لا يشكل المسلمون نسبة ٢٥٪ بالقياس إلى العمال الهندوس ، فقد لا يشكل المسلمون نسبة ٢٠٪ من مجموع الموظفين والعمال الهنود . وأما المساعدات التي قد تمنحها الجهات الدعوية والإسلامية ، فهي لا تذكر في مقابل مجموع الثورات العربية التي يحملها العمال والموظفون الهندوس من دولة الإمارات العربية المتحدة وحدها .

ومن أجل استفاد صبر المسلمين فيما بعد الاستقلال واستثارة عاطفتهم الدينية ، لايجاد مبررات للصدام معهم ، كثر التحامل على الإسلام ونبيه سيدنا محمد - ﷺ - والإساءة إلى شخصه ، ولا نعلم فيما قبل استقلال البلاد إلا حادثين فقط ، أما فيما بعد الاستقلال فلا يمكن إحصاء الحوادث التي وقعت وتقع في هذا الشأن ، فألفت مآت من الكتب الدراسية التي يقرأها الناشئ الغر فيسيغ كل ما يقرأه عن النبي - ﷺ - وعن الإسلام وتاريخه من التهم والافتراءات ، هذا عدا ما يصدر من الزعماء الهندوس في خطبهم ومحاضراتهم هنا وهناك .

لقد ذكرت جميع التقارير عن الاضطراب الطائفي الذي وقع منذ عهد قريب في مدينتي بهيوندى وبومباي أن السبب المباشر فيه كان الإساءة إلى شخص الرسول - ﷺ - والتي قام بها أحد زعماء حركة « شيوسينا » في إحدى خطبه ، كما طعن في دين المسلمين وولائهم للبلد ، واستمر ذلك نحو شهر ، ولفت المسلمون أنظار الجهات الرسمية المسئولة إلى هذا الجانب ، ولكن بدون جدوى ، فوقع بعد تأزم الجو من الصدام العنيف بين الهندوس وبين المسلمين ما لم يهدأ إلا بتدخل الجيش .

ومن حين لآخر يصدر بقلم كاتب هندوكي كتاب أو مقال يسيء إلى الإسلام وإلى نبيه عليه الصلاة والسلام .

وقد صدر حديثا كتاب فى اللغة الهندوكية ، ألفه عدد من المؤلفين هم أساتذة فى الجامعات والكليات الرسمية فى ولاية « اترابراديش » ، والكتاب داخل فى المقررات الدراسية ، جاء فيه من التهم التى ألقيت على الإسلام وشخص الرسول - ﷺ - الخلفاء الأربعة والتاريخ الإسلامى ما يستحى القلم عن نقله هنا ، ويكاد الجو يتأزم فى هذه المنطقة أيضا .

وقد يتحمل المسلمون الإساءة إلى أنفسهم أو إلى الإسلام أو إلى التاريخ الإسلامى ، ولكنهم لا يحتملون - على علاقتهم - أدنى إساءة إلى شخص الرسول - ﷺ - ولذلك فما أن يقع فى مكان مثل هذا الحادث إلا ويتلبد الجو بغبار التوتر والتأزم ، ويقع الصدام بين الهندوس والمسلمين ، إن لم تكن أجهزة الأمن المسؤولة قد اتخذت إجراءات وقائية بسرعة مطلوبة ، وإن لم يكتب المسلمون بدورهم عواطفهم ويكظموا غيظهم .

ويبدو أن المواطنين الهندوس بدأوا يكتفون أخيرا هجماتهم على الإسلام والمسلمين ونبى الإسلام - ﷺ - ، فى خطبهم وكتاباتهم بهدف إثارة المسلمين وإعدادهم لصدمات تؤدي أخيرا إلى تحملهم مسئولية الاضطراب الطائفى .

ويضاف إلى ذلك :

أن الزعماء قد يستغلون حادثا بسيطا أو خلافا عاديا بهدف نفوذهم وتحقيق مآرب شخصية لهم أو لحزبهم ، أو كسب الإعجاب والتقدير لدى أفراد الطائفة التى ينتمون إليها ، حتى ولو كان ذلك الحادث سهلا يمكن أن يمر دون شجار ، وذلك شئ لا يستغرب فى مجتمع يتألف من أديان ونظريات عديدة .

لكن الزعماء لا يرضون إلا إثارة عواطف طائفتهم ضد طائفة أخرى ، وتضخيم حادث بسيط فى أعينها ، وإغرائها بأخذ القانون فى

أبديها ، وعدم الثقة في السلطة ، واتهام الحكومة بأنها واقفة بجانب الأقليات ولا سيما الأقلية المسلمة .

وقد يكون الزعماء الدبلوماسيون هم السبب المباشر في وقوع الاضطراب الطائفي ، حيث يحاولون الإساءة إلى سمعة الحزب الحاكم والتقليل من شعبيته ، رغبة في كسب حزب من الأحزاب المعارضة — التي ينتمون إليها في الانتخابات القادمة — الأصوات المطلوبة إلى كرسى الحكم ، أو — على الأقل — يسقط الحزب الحاكم . . . ومعنى ذلك أن الوصول إلى كرسى الحكم بحيلة أو بأخرى أو إسقاط الحزب الحاكم في الانتخاب وإزاحته عن الحكم شيء يمكن التضحية في سبيله بكل غال ورخيص حتى بالنفوس البشرية والممتلكات القومية والشخصية ، والسلام الوطنى ، والأمن المدنى ، والثروة الوطنية ووسائل التنمية والإنتاج ، ووسائل التقدم والازدهار . . . وهؤلاء هم الذين إذا بلغوا إلى كرسى الحكم يصرخون من أعماقهم بإطلاق دبلوماسى خائن أو سياسى غادر ، ينال جزاءه من شعبه في بلد من بلاد القارات الخمس . . يطلبون ذلك باسم الإنسانية ومالها من حقوق .

— وإذا تآزم الجو في مكان ووقع الاشتباك بين الهندوس والمسلمين ينحاز جهاز الأمن والإدارة إلى الأغلبية ، وبما أن أغلب رجال الأجهزة الادارية والأمنية من الهندوس . . وهم — لا شك — يكونون قد انفعلوا بالدعايات المستمرة ضد الأقلية الإسلامية — فأنهم سوف يمنحون المتطرفين المثيرين للفتنة كل حرية لتأليب الأغلبية ، وتعبئة قواها .

وعندما يشتد الصراع ويطول الصدام ، تتدخل الشرطة — أو الجيش أحيانا — وهى الأخرى تساند الأغلبية ، لأن الأغلبية في الشرطة للهندوس ، وفضلا عن تسممها ضد المسلمين ، فإن الصدام الواقع بين الهندوس والمسلمين يتحول إلى الصدام بين الشرطة

ورجال الأمن وبين المسلمين ورجال الشرطة لا يكتفون بقتل المسلمين وإصابتهم بجروح ، بل يتوغلون في بيوت المسلمين وينهبون مالههم ، وينتهكون عرضهم ، ويتطاولون على حرمانهم ، ويكسرون عظام شبابهم ، وقد يذبحون أطفالهم ، وكل ذلك تحت عنوان إقامة الأمن ، وزرع السلام ، وبث الهدوء •

— وأدهى من ذلك أن رجال السلطة والأمن قد يكونون على علم مسبق بتأزم الجو وتتهيؤ الفرصة للاضطراب — موضوع العوامل المؤدية إلى الصدام ، ومع ذلك فإنهم يقصرون في أداء واجبهم نحو اتخاذ إجراءات وقائية كما ثبت تقصيرهم — دائما — في اتخاذ إجراءات رادعة ضد المعتدين والمجرمين إذا كانوا من طائفة الأغلبية •

وفي التحقيقات عن اضطراب طائفي وقع في مكان ما تبذل الشرطة محاولاتها لوضع شهادات ووثائق لإثبات أن الأقلية هي المعتدية والبادئة في إشعال فتيلة الاضطراب •

— ولقد بدأ الهندوس يجعلون منذ أعوام ساحة الصدام بينهم وبين المسلمين ، في الأمكنة التي يكون المسلمون فيها قد تقدموا تجاريا وصناعيا بكدهم وعرقهم رغم العوائق التي تزرع في طريق نهضتهم اقتصاديا وتجاريا ، حتى يمكن إلحاق الضرر بهم في كل من الأنفس والأموال لكي يتخلفوا عن ركب النهضة والازدهار ، ويعيشوا تحت كابوس البؤس والفقر •

والجدير بالذكر أن إخواننا المواطنين لا يهمهم أحكام دينهم ومتطلبات عقيدتهم ، بمثل ما يهمهم العداء والكراهية للمسلمين ، والدارس لوضع الهندوس الديني يلاحظ أنهم قد يضيقون نطاق الأحكام الدينية ويوسعونه حسب ما يقتضي منهم العداء للمسلمين ، كما يلاحظ أنهم ينشطون للعبادة في مكان محدد وقع الخلاف في

شأنه بينهم وبين الأقلية ، فمثلا إذا كان في مكان شجرة « بييل »  
PIPALE التي يقدسونها ووقع الخلاف حول حقهم في هذا  
المكان أو حق للمسلمين فيه فإنهم يكتفون بالإقبال على العبادة عند  
تلك الشجرة بوضع صنم من حجر تحتها ، ويؤلبون بنى عقيدتهم ضد  
المسلمين ، وقد يدعون للعبادة تحتها أناسا بعيدين عن ذلك المكان  
بأميال ، ولا يذكونها دون أن يبنوا معبدا ويسيطروا على المكان  
بالقوة وبمساعدة رجال الأمن والشرطة ويتم ذلك تحت بند النظام  
والقانون .

— ومن المؤسف جدا أن عوامل الاضطراب معلومة لدى  
الحكومة ولكنها لا تحرك في جدية وإخلاص لدراستها ، واتخاذ  
إجراءات صارمة تمنع من وقوعها أو تقلل منها . حربا أهليه ستقع  
ولن يستطيع أحد أن يسيطر عليها حتى ولو يعاون الجيش والشرطة .

وليتأكد إخواننا الهندوس أن المسلمين لن يغادروا وطنهم وأنهم  
مواطنون أصليون مثلهم ولا يقل جهادهم وبلادهم في سبيل الوطن  
وتحريره ، ثم بنائه وتنميته وإثرائه ، عن اجتهادهم ونشاههم ، ولذا  
فلا بد أن يغيروا إطار التفكير الذي اتخذوه وليوسعوا الأفق في شأن  
إخوانهم المسلمين ولتكن صدورهم رحبه ، وإذا لم يغيروا أسلوب  
تفكيرهم فإن طبيعة الليالي والأيام سترغمهم على ذلك ، لأن الأيام  
دول وهم بهذا الموقف السلبي الذي اتخذوه نحو المسلمين سوف  
لا ينفعون الوطن بشيء ، وإنما يضيعون الطاقات والكفاءات ،  
وتكون النتائج مزيدا من الخسائر ، الأمر الذي يكون سببا في تخلف  
البلاد ، وسوء سمعتها .

وذاك شيء يدركه العقلاء وأولو الجدية والروية من الإخوان  
الهندوس ، ولكنهم قليلون بالنسبة إلى المتطرفين العاطفيين الذين  
يدعون أنهم وطنيون حقا ، وهم في الواقع أعداء الوطن ...



## ما وراء الاضطرابات الطائفية في الهند (١)

المسلم الهندي يعيش تجربة غير التي يعيشها المسلمون في البلاد التي يشكل المسلمون فيها أقلية إنها من تجارب محاولة الإبادة والتشريد ، أو الغزو الفكري والعقيدى والثقافى والحضارى .

إنه يعيش سلسلة لامتناهية من الاضطرابات الطائفية والتصادم العنيف الذى تفرضه عليه الأغلبية الهندوكية الوثنية ضد المسلمين في أرجاء الهند ، والذى يسبب خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ، وجل الذاهبين ضحيتها هم أفراد الشعب المسلم ، وقد كثر اندلاعها منذ نحو عامين ، منذ أن أخذت الصحوّة تجد سبيلها إلى الطبقة المنبوذة من الهندوس ، التى تذوق الولايات منذ قرون ذاهبة في أعماق التاريخ ، المجهولة على يد الطبقة الهندوكية العليا ذات السيادة الدينية عند الهندوس .. والتى بفضل الثقافة ، التى فتحت آفاق عقولها وتفكيرها ومكنتها من التعرف على الدين الإسلامى ، بدأت تفكر — أخيرا — أن تدخل في حظيرة الإسلام تخضعا من مخالب الذلة والهوان ، والتفاوت الطبقي الظالم ، والاحتوائية التى لا زالت تعيشها تحت ظل الطبقة المتحكمة في الشؤون الدينية .

لقد لجأ عدد كبير من المنبوذين في قرية « ميناكشى بورم » وفي مناطق شتى إلى ظل الإسلام الوارف ، الذى لا يفرق بين غنى وفقير ، وسيد ومسود ، ولا يوزع بنى البشر إلى طبقات ، فالناس عنده سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ومن سقط به عمله فلا يرفعه نسبه .. الإسلام الذى يحتضن كل حائر تائه في دياجير الحياة ، وكل حريب سليب بيد

---

(١) نشر في العدد : ٧ / السنة ٦ — يوم ٢٥ / يناير ١٩٨٣ م .



الظلم والطغيان ، وكل مسحوق بقوى الشر والعدوان ، وكل مخنوق بيد المجتمع المائج بحركات ومنظمات ، وجماعات وأفراد وعقائد وأفكار تمدها يدها الخبيثة إلى الإنسانية الآمنة المطمئنة فتسلب راحتها ، وتنغص عيشها ، وما أكثر عددها وأطقى شرها !

وهذا أقام الهندوس — ولا سيما العناصر المتعصبة منهم — ولم يقعدهم بعد ، فبدأوا يحسبون لذلك ألف حساب ، وذهبت بهم الظنون مذاهب ، وباتوا يفكرون ويحسبون : إذا ظل إخوانهم ، أهل ديانتهم يسلمون على غرار المنبوذين ، فلسوف يأتى يوم يتحول فيه المسلمون أكثرية يتحكمون في شئون البلاد ، ويعودون هم قطعانا من الغنم تساق بالعصى ، ويعودون مسودين بعد أن مكثهم جلاء الاستعمار من الهند من بعض الممارسات التى هى من شأن السادة !

لهذا سلكوا شتى الطرق ، لوضع الحظر على حركة تغيير الدين التى نشطت — وستظل نشيطة بإذن الله — وأقاموا ضجة كبيرة ، بهدف استقطاب اهتمام الحكومة إلى هذا الجانب ، ومن المعلوم أن العناصر المتعصبة من الهندوس تسيطر على جل أجهزة الحكومة ومناصبها الحساسة ، ولقد قالوا إن العلمانية ستلفظ أنفاسها الأخيرة إذا ظل المنبوذون يدخلون في الإسلام وعاد المسلمون أكثرية في البلد ... وفى جانب آخر وحد الهندوس صفهم ، وأخذوا يفكرون في القضية بحزم وجدية ، وعملوا على مكافحة التفاوت الطبقي في المجتمع الهندوسى ، وجمعوا لذلك تبرعات ، بلايين من الروبيات ، وآثاروا في الصف الهندكى روح العصية الدينية المنتنة ، لأن ذلك كان أنجح الأساليب في توحيد صفوفهم ، ولكسب تعاطف الحكومة ، ومن أجل الضرب على الوتر الحساس الهندوسى ، قالوا : إن البترودولارات العربية وعائدات النفط العربى هى العامل الأساسى الوحيد من وراء دخول المنبوذين وغيرهم من الهندوس في الإسلام ، وأن الدول العربية والإسلامية تعمل على تحويل المسلمين أغلبية في الهند .

ومن هذا المنطلق كثفوا وصعدوا حركات التصادم مع المسلمين لكي يصيبوهم في الأنفس والممتلكات ، حتى يقضوا على نسبتهن المرتفعة بالمهتدين إلى الإسلام من الهندوس ، كما طالبوا الحكومة باتخاذ دستور يمنع من تغيير الدين وأن تضع الحكومة في الاعتبار البترو دولارات العربية التي تسرب إلى الهند لا لشراء المنبوذين ! •

وبدأت التصادمات الطائفية تقع أخيرا تحت مخطط مدروس في المدن التي تعيش فيها الأقلية الإسلامية — بفضل التجارة أو الصناعة — حالة الرخاء ، بهدف تحويلهم عالة يتكفون الأكثرية . •

هذا ، وقد تكون الاضطرابات الطائفية نتيجة سوء التفكير من الدبلوماسيين من الأحزاب المعارضة التي تحاول إثارة الاضطرابات ضد الحزب الحاكم ، فيشعل نار الاضطرابات الطائفية ، كما قد يقصر الحزب الحاكم بدوره في التحرك المثمر لكي يوقف التصادمات الطائفية ، حتى تظل الأقليات المتضررة محتاجة إليه ، وترى مصيرها بيده باعتبارها المنقذ لها مما تعانيه . •

كما قد تكون نتيجة تسرع أو سفه من المسلمين أولئك الذين يشتعلون كالكبريت بأدنى حكة ، ولا يقدرون المصير المشؤوم الذي يلاقونه في الأمكنة التي تشتد منها الاضطرابات الطائفية وتتضرر بسببها . •

والعامل الأكبر في الاضطرابات الطائفية هو العصبية الدينية التي عمل على إثارتها وإيجاد عواملها الاستعمار البريطاني عند ما تأكد من أن نهاية بقاءه في الهند فقد ترتب على جلائه تقسيم الهند ، وقيام صراعات دامية عند استقلال الهند ، — لذلك عملت — على إشعالها الكتب التاريخية الدراسية وغير الدراسية التي ألقت فيها بعد الاستقلال ، والتي شوّهت وجه التاريخ الإسلامي في الهند ، وسودت صفحات الملوك المسلمين ، ووصمتهم بأنهم ظلموا الأكثرية الهندكية ، كما أوهمت أن المسلمين حكموا الهند سبعة

قرون أو أكثر كالمسعمرين البريطانيين ، إذ جاء كلا الاستعمارين من خارج الهند ولذلك يجب أن يجلو المسلمون عن الهند كما جلا الاستعمار البريطاني ، ولا مبرر لهم في اقاءتهم بالهند ، ولا سيما بعد ما نالوا حظهم في صورة دولة باكستان التي شقوها من الهند ! •

ولا تزال تصدر عن أقلام كثير من الكتاب الهنادك كتابات ومؤلفات تنفث السموم ضد المسلمين في الهند ، وضد التاريخ الإسلامى على العموم ، بل وضد نبيهم الأعظم ﷺ ، وقد يبلغ الحقد الأسود ببعضهم أن يصفوا « أورنك عالمكير » — رحمه الله — بالعصبية والإجحاف وهضم الحقوق ، على حين أنه كان أعدل إمبراطور مغولى ، وأعدل الملوك المسلمين الذين حكموا الهند على الإطلاق ، وتلك قضية لا تحتاج إلى بيان لأنها واضحة كالشمس في رابعة النهار •

ومهما يكن من سبب في الاضطرابات الطائفية ، فإنها باتت مأساة يعانيتها الشعب الهندى ، وتسحق رعاها الأقليات ، وصارت تعيش حالة من القلق والخوف وعدم الاستقرار ، إنها لا تدري متى تندلع نار التصادمات فى الأمكنة التى تستوطنها فتذهب ضحيتها الأموال والأرواح •

والحظر على الاضطرابات الطائفية ممكن إذا كانت الحكومة جادة فى الاهتمام بهذا الجانب ، وأخذ القادة والزعماء من كلتا الديانتين بالحزم ، وإيثار روح الإنسانية والمساواة والعطف التى لا تحاربها أى ديانة ، وإنما هى تراث مشترك للديانات •••

## المجزرة الوحشية (١)

إن المجزرة الوحشية التي تعرض لها — ولا يزال — الشعب المسلم في ولاية « آسام » بالهند ، ليست هي الوحيدة ، وإن الصدمات الدموية والاضطرابات الطائفية التي توقد نيرانها الجهنمية من حين لآخر لحصاد المسلمين بات شيئاً عادياً يعيشه المسلم الهندي . كالماء والطعام والهواء .. فمنذ أن تحررت الهند والإنسان المسلم يذوق من الويلات ما لا يمكن تحمله إلا برصيد كاف من الإيمان العميق بالله الواحد القهار ، وبكونه المنتقم الجبار ، وبأن المسلم مكانه في الحياة مكان السراج المضيء وسط دياجير الحياة .

إن الصدمات الدموية التي يرقص فيها الموت أكسبت المسلم الهندي — كما قلت من على منبر هذا العمود أكثر من مرة — إيماناً عجيباً بربه ، مكنه من تذوق الحلاوة التي توجد لها المصائب والحن إذا صبر عليها المؤمن بالإجابة إلى ربه الذي لا يخذله ، ما دام هو وفيًا له .

إن الحن تصقل الإيمان وتجلو انصدأ ، الذي قد يتراكم على قلب الإنسان المسلم من طول طريق المعاناة المادية في الحياة .. الله عز وجل ، خالق الإنسان والكون ، يعلم نفسية الإنسان ، يعلم أنه لن يسير على طريق واحد — ولو كان طريق العقيدة والإيمان — على نهج واحد أو سرعة واحدة .. فوضع الحن والشدائد لكي تشده دائماً إلى النقطة المطلوبة للسير على طريق العقيدة والإيمان : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » .

إننا لا نملك إلا دموعاً نهديها في إخلاص إلى الأنفس البريئة

(١) نشر في العدد : ١٣ / السنة ٦ — يوم ١٠ / ٥ / ١٩٨٣ م .

التي قتلتها الأيدي الأثمة ، وزفرات وعبرات حارة نرف بها إلى الجرحى والمشردين الذين يعانون أشد أنواع الويلات على أيدي المتهورين المتطرفين ..

إن الاحتجاجات والتظاهرات ، ورفع الأصوات ، لم تجد ولن تجدى شيئاً للشعب المسلم ولن تنقذه من مخالب غول الاضطرابات الطائفية الأسود .. إن السلطات المحلية أو المركزية لن تنفع شيئاً ، وإن الجماعات والأحزاب والمنظمات التي تنفق هنا وهناك لم تغير ولن تغير من طبيعة الوضع القلق القاسى الذى يعيشه الشعب المسلم فى كل قرية ومدينة ، وفى كل ناحية فى البلد .

إنه لن ينجو من عفريت الاضطرابات الطائفية التى يتعاطاها كخبز الغداء والعشاء إلا بتوحيد الصف وبتوثيق الصلة بينه وبين ربه .. ثم بإيجاد الوعي الإنسانى فى الأخوة بين المواطنين الذين يوجد فيهم عدد لا بأس به ينظر إلى قضية المسلمين بمنظار إنسانى ، ويرى أن للمسلمين حق العيش فى البلد ، وأنهم عريقون فى المواطنة ، وأن لهم ما له ، وأن عليهم ما عليه .. إنه بات لا يملك من أمره إلا أن يصيح صيحة الأطفال ، ويكى بكاء الرضيع ، ولكن هل هناك من يستجيب لهذه الصيحة ، ويسترعى انتباهه هذا البكاء ؟ .

إنه ليست ولاية « آسام » - وحدها - ، وإن كانت طبيعية الصدام هناك تختلف عن طبيعة الصدام فى أمكنة أخرى ، ولكن هدف كل تلك الاضطرابات هو حصاد الإنسان المسلم ، ومحاولة إبادة الجماعة ، ففى مدن « ميرته » و « وعليجراه » و « مراد آباد » و « جمشيد پور » وقع من الحصاد الأبرشع للنفس البشرية المسلمة ما لا يوصف .

فإلى الله المشتكى وإليه المرجأ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## أصلية ٠٠ وليست دخيلة (١)

إن كل إنسان — حتى الصبيان — يعرف أن اللغة الأردنية أصيلة في هذه البلاد وليست دخيلة طارئة ، كما يزعم من يجهل أو يتجاهل تاريخ البلاد ، وتاريخ تطورها الحضارى والثقافى ٠٠

إنها على هذه الأرض ثبتت ، وفيها نشأت ، وفي حضنتها ترعرعت ، ومن تربة مجتمعتها استمدت غذاءها ، فبستت وتفرعت : والدارسون لتاريخها يؤكدون أنها صورة متطورة من اللغة الهندوكية ، وأن تاريخ نشوئها يرجع إلى أكثر من ثمانية قرون ٠٠ وأنها صارت إلى ما هي عليه الآن بما انصب في قناتها من كل اللغات الفارسية والعربية والتركية والانجليزية والفرنسية ، وكثير من اللغات المحلية وغير المحلية .

إنها كغيرها من اللغات المدرسة والموجودة في العالم البشرى ، نشأت باعتبارها ضرورة إجتماعية ملحة ٠٠ دخل المسلمون هذه الأرض تجارا أو فاتحين ، وكان معظمهم فيما بعد عهد الفتح العربى — الذى كان رائده وقائده الشاب اليافع « محمد بن القاسم الثقفى » المتوفى ٧١٢م — لغتهم الأم هى الفارسية ، فبقيت هى لغة الدواوين ولغة البلاط ولغة قصور الأمراء ، إلا أن لغة أهل البلاد كانت اللغة الهندوكية ، فاضطروا تحت ضغط من حاجاتهم التجارية والإدارية والتعامل مع الشعب أن يستخدموا ألفاظها ، وبمرور الأيام انقطعت صلتهم تدريجيا عن أوطانهم التى نزحوا منها للهند ، وأقاموا مع أهل هذا البلد صلة المصاهرة ، وأهل البلد بدورهم احتاجوا إلى الاتصال بهم عن طريق الوظائف فى المكاتب الحكومية والأختلاف إلى البلاط الملكى ، والعمل فى الجندية ، وبمقتضى صلة المصاهرة والقربى ، فتعلم كثير منهم اللغة الفارسية أو كثيرا من ألفاظها المتداولة فى

---

(١) نشر فى العدد : ١٩ / السنة ٨ — يوم ١٠/٨/١٩٨٥م .

ضرورات الحياة اليومية ، غير أن لغتهم الأم كانت اللغة الهندوكية ..  
وهذا التمازج اللغوي فيما بين هؤلاء وهؤلاء خلق لغة جديدة هي  
اللغة الأردنية .

وبذلك كانت اللغة الأردنية من المعطيات الحضارية الكثيرة التي  
لا تحصى ، والتي أتحف بها المسلمون هذه البلاد التي جعلوها داراً  
وقراراً ، يقول الدكتور « تاراتشند » ( TARA CHAND )  
الكاتب والمؤرخ الهندوسي ذو الاطلاع الواسع في كتابه « تأثير  
الإسلام في الهند » ( INFLUENCE OF ISLAM IN INDIA )  
معطيات الإسلام لهذه البلاد ..

« ... والأهم من ذلك أنه نشأ مزيج لغوي ، حيث إن المسلمين  
أقلعوا عن لغتهم الفارسية والتركية ، واختاروا لغة الهنادك ، إلا  
أنهم غيروا فيها ، وتناولوها بالتعديل والإصلاح بدواعي الظروف  
والأحوال على غرار ما صنعوه في فن الهندسة والرسم والتصوير ،  
وعلى ذلك فإنهم أنشأوا لغة جديدة ، هي اللغة الأردنية ، ثم جعلها  
الهندوس والمسلمون لغهم على السواء » .

وبقيت الأردنية تنمو وتزدهر بجانب الفارسية ، التي كانت لغة  
الملوك والأمراء ، والحكام ، لأنها بطبيعتها المعجونة باللغتين الفارسية  
والهندوسية كانت وحدها هي التي تقدر على إيجاد التقارب والالتقاء  
بين الطائفتين ، طائفة المواطنين وطائفة الملوك والحكام المسلمين الذين  
كانوا يختلفون عن المواطنين ديانة وحضارة وثقافة .

ولذلك .. فعندما أدرك المربون والمصلحون في هذه البلاد منذ  
قرون طويلة ، أن هذه البلاد التي يسكنها الهندوس والمسلمون لا يمكن  
أن يستقيم أمرها ، وتقطع أشواطها نحو النمو والازدهار في جو من  
الهدوء والوئام إلا إذا تم القضاء على روح التنافر والعصبية ،  
والتركيز على إثارة روح التسامح والمرونة ، والرقّة والمواساة ، والحب  
والتراحم ، وصفاء القلب والفكر ، والتفكير في حاجات الآخرين قبل

المصالح الشخصية والمنافع الفردية ، وبالتالي لابد من إيجاد الانسجام بين الحضارتين والتزاوج بينهما .. ولذلك استخدموا هذه اللغة المزيجية من اللغتين ، واتخذوها لغة القلب والحب ، ولغة الأخوة والوفاء ، ولغة التناغم والانسجام ، ولغة التألم والمواساة ، ولغة يضربون بها على أوتار القلوب ، ويخطبون بها الود ، ويؤلفون بها بين الأفئدة ، ويلحنون فيها قصائد الحب ، ويقربون عن طريقها بين الأفكار والوجوهات ، وكان على رأسهم أمير خسرو ، والشيخ على قلندر الفاني فتي (م ١٣٢٣م) ، والشيخ شرف الدين يحيى المنيرى البيهارى (م ١٣٧٠م) ، والشيخ محمد حسين غيسو دراز (م ١٤٢٢م) ، والشيخ الشاه ميران جى البيجافورى الملقب بشمس العشاق (م ١٤٩٦م) ، والسيد محمد الجونفورى (م ١٥٠٤م) ، والمصلح كبير داس البنارس (م ١٥١٨م) ، والمصلح غرو نانك مؤسس دبانة السيخ (م ١٥٣٨م) ، والشيخ عبد القدوس الكنكوهى (م ١٥٣٨) .

ولكون هذه اللغة موضع إقبال الشعب الهندى وضع الاستعمار الإنجليزى جهده فى نشرها وتعليمها الأبنائه وأبناء هذه البلاد ، ووضع لذلك كتباً دراسية ومنهاجا تعليميا ، وأنشأ كليات ، وركز عنايته على تطوير النشر الأردى الذى رآه يعين على نشر آرائه وأفكاره بصفة خاصة .

وإن القارئ من خلال هذا الاستعراض السريع يرى أن اللغة الأردية كانت لحمتها وسداها اللغة الهندكية واللغة الفارسية منذ اليوم الأول ، ولما صرف العلماء والمؤرخون والمثقفون المسلمون عنايتهم نحو هذه اللغة التى وجدوها — فيما بين اللغات الوطنية الأخرى — أحلى اللغات وأسهلها تناولا وأخفها على اللسان ، وأروعها فى التعبير والبيان ، وأعذبها جرسا ، وأجملها تركيبا ، وأسحرها نغمة ، وأوفها أداء للغرض ، وأوسعها نطاقا ، وأكثرها مرونة وتجاوبا مع كل عصر وحاجاته ، وكل مجتمع ومتطلباته ، نقول عندما



صرف العلماء المسلمون عنايتهم نحو هذه اللغة دخلها كثير من الكلمات العربية مستقلة بالإضافة إلى الكلمات العربية التي كانت مستخدمة في الفارسية ، ومن ثم صارت الهندكية ، وبعد غزو الاستعمار الإنجليزي للبلد دخلتها الكلمات الإنجليزية ، ومع الثورة الصناعية في العالم وتقدم الإنسان في العلم والتكنولوجيا والاختراعات والاكتشافات ، وكثرة اختلاط الأقاليم والأمم واتصال البلاد والدول بعضها ببعض ، كثر التفاعل والتبادل فيما بين اللغات ، كما كثر ذلك فيما بين الحضارات والثقافات ، فدخل الأردية كثير من كلمات اللغات العالمية واللغات المحلية .

ونظرا لما كانت تتمتاز به الأردية من حلاوة وعذوبة النغم والجرس ، وكثرة المرونة ، أقبل عليها الشعب الهندي على اختلاف الديانات ونبغ فيها في جميع العصور أدباء وكتاب وخطباء وشعراء مسلمون وهندوس ، وجميعهم خدموها بشتى الصور .

وإذا كانت الحاجات الاجتماعية هي التي توجد اللغات واللهجات فإنها تبقى حية ما دامت تقى بتلك الحاجات ، وتمشى مع المثل والقيم الاجتماعية . وأكثر اللغات وفاء بهذا الغرض وتعبيرا عن الحقائق الاجتماعية أحياءا وأبقاها ، وإذا فقدت لغة ما صلاحية التعبير عن الضرورات الاجتماعية والتمشى مع ركب القيم والحقائق الاجتماعية ، فلا بد أن يطوى بساطها ..

إن ازدهار اللغة الأردية بهذا الشكل المدهش وكونها لغة الثقافات والعلوم والآداب ، في هذه المدة القليلة — إذا قسناها بلغات عالمية أخرى ذات حضارة وثقافة وأصالة ، وأدب وعلم — وانتشارها في العالم بهذه السرعة الهائلة تملك من صلاحية الوفاء بالحاجات الاجتماعية والثقافية والحضارية ، ما لا تملكه لغات كثيرة تملك من وسائل النشر والتعميم والترقية ما لا تملك هي عشر معشاره .

ورغم أن أبناء الإسلام في هذه الدنيا — بعد ما طوى بساط الحكم الإسلامى وطوى معه بساط اللغة الفارسية — اتخذوها لغة العلم والثقافة بصفة خاصة فإنها بقيت حقا مشاعا لجميع أبناء البلاد ، وبقيت لغة التخاطب والتفاهم الوحيدة في معظم ربوع شبه القارة الهندية وظلت — دائما — هى اللغة الوحيدة التى تنطق وتفهم كثيرا أو قليلا في جميع أجزاء الهند ، ظل أبناء البلاد مع اختلاف الديانات يجتهدون فيها وفي تعليمها واختيارها لغة العلم والثقافة .

وبعد ، ففى أوائل هذا القرن — وحتى قبل الخمسينات منه — لم يكن هناك تعصب للهندوكية ضد الأردية بصورة تذكر ، على الرغم من أن إقبال المسلمين عليها كلغة علم وثقافة وتقاهم كان أكثر من إقبال الهندوس عليها ، غير أن شعور الكراهية التى زرعها الاستعمار في قلوب المواطنين وما أعقب الاستقلال من الظروف والمالبسات ، وما واكب توزيع الهند بين دولتين من صراعات وتعقيدات ، جعل الإخوان المواطنين الهندوس يمتقون كل ما يتصل بإخوانهم المسلمين ، وكل ما يتبنونه من ثقافة وحضارة ودين ولغة ، ولو كانت هى اللغة المشتركة بينهم وبين المسلمين كاللغة الأردية .

وشعور الكراهية يتفاقم مع الأيام ، ولا يرجى في الظروف الراهنة أن تخف حدة الصراع القائم بين الشعورين ، إلا أن تحدث معجزة من الله العزيز الحكيم ، الذى يقلب الليل والنهار ، ويزيد الأمر خطورة سوء تصرف الحكام ، وخبت سلوك الساسة والدبلوماسيين والأحزاب السياسية ، بالإضافة إلى شر الأحزاب والمنظمات الطائفية المتطرفة المشاغبة التى تواصل إشعال فتيلة العصبية الدينية والثقافية .

والآن .. تكاد تمضى على الاستقلال أربعة عقود ، ولم يستطع الزعماء وقادة سفينة البلاد أن يضعوا حدا للصراع القائم فيما بين الثقافات واللغات ، وإنما الطين يزداد بلة ، وفي كثير من الأحيان يكونون هم السبب المباشر في ازدياد هذه البلة .

لقد علم القراء مما أسلفت أن اللغة الأردية كانت ولا تزال أكثر اللغات المتداولة في الهند استعمالاً ونطقاً وفهماً في جميع أجزاء الهند ، وبعض الولايات يختص بتداولها وحدها ، كولاية اترابراديش وبيهار ، وما يجاورهما من المناطق ، وقد كانت هذه المناطق منبعها ومهداها ، كما يرجحه — بل يؤكد — الباحثون ، وكانت شريعة المنطق والعقل ، وشريعة الحكومة ، وشريعة الظروف تقتضي أن تعترف بها الحكومة الهندية كلغة رسمية ثانوية ، تلى الهندوكية على الصعيد الرسمي ، حتى يتاح للناطقين بها — وهم قطاع عريض من السكان في مشارق الأرض ومغاربها عامة وفي هذه المناطق المشار إليها ومعظم المناطق الجنوبية خاصة — أن يستخدموها في مجال الثقافة والعلم والمنطق ، والخطاب في ضرورات الحياة العامة التي يحتاجون فيها إلى معاونة الحكومة ، فلا يضطرون — رغماً منهم — إلى استخدام الهندوكية أو الإنجليزية في الاتصال بالمكاتب الحكومية وإداراتها ومصالحها وأجهزتها وسلطاتها .

أليس من المضحك المبكى — وما أكثر المضحكات المبكيات في دنيانا ، وشر البلايا ما يضحك — أن لا تعترف الحكومة الهندية أن الحكومات الإقليمية ، مع أن هذه اللغة هي أحلى اللغات — كما يعترف بذلك عن تذوق أدباؤها المسلمون والهندوس على السواء — وأسهلها وأخفها على الإطلاق ، وتستخدم الحكومة هي ورجالها كل نوع من المماثلة والتسوييف واللف والدوران ، وتواصل إعطاء الوعود وإخلافها ، رغم جهاد رجال الأردية هذه المدة الطويلة في سبيلها ، ورغم مطالبتهم المتصلة بذلك ، ولا تبالى الحكومة في هذا الصدد بمشاعر هذا القطاع العريض من الناطقين بها ، بل ويحلونها أن تظل عازية بنواجذها على لغة الاستعمار الذي ولى ، وأن تفرضها على الشعب ، وترغمه على تعلمها شاء أو لم يشأ ، وأن تجبر على استخدامها في مكاتبها ودواوينها ومصالحها ، وفي مجالات الحياة الكثيرة .

أليست من العجيب الأعجب أن يقبل عليها الناس في العالم

مأخوذين بعذوبتها وسهولتها وخفتها ، ويتبنونها باعتبارها لغة راقية زاخرة بالحياة وتتكرر لها أرضها الأم ، ومهدا الأصيل ، ومسقط رأسا الحقيقي ، وتضعها في قفص الاتهام بأنها لغة مستوردة ، وأنها تثير الطائفية ، وأنها لغة طائفية وحدها ، وأن الناطقين بها يستحقون الإعدام شنقا ، وأن الاعتراف بها لغة ثانوية يؤدي إلى الاضطراب الطائفي والصراع الطبقي وأنها لا يمكن فرضها على شعب البلاد .

إنها تهم توجه إلى الأردية منذ استقلال الهند ، وأعداء ومبررات يخلقها رجال السياسة ، وزعماء الهندوس المتعصبون — ومعهم أبواق مأجورة من المنتمين إلى أبناء الإسلام — ولو راجعوا أنفسهم لعلمو أنها اللغة الوحيدة التي يمكن أن تعم الهند ، وأن يكلف الشعب باستخدامها نطقا وكتابة وخطابة ، واستعمالها في المصالح الحكومية ، لأنها مزيج من جميع اللغات المحلية والعالمية ، وعلى رأسها الهندوكية والفارسية والعربية والإنجليزية ، ففيها عزاء لجميع الطوائف وسلوى لكل القطاعات ، وأسباب رغبة لجميع الناس ، ويمكن أن نقول وبملا الأفواه ، وفي تحد كامل ، إنه ليس هناك في الهند لغة تستخدم لايجاد التقارب والالتقاء بين هذه الكتل المتناحرة ، والقطاعات المتصارعة ، والطوائف المتخاصمة التي فرقتهما الأهواء والمصالح والثقافات والديانات والميول والاتجاهات ، إلا هذه اللغة التي استخدمها فعلا لهذا الغرض المربون والمصلحون والنسك في الماضي .. وقد وجدت لتكون نقطة التقاء بين الناطقين بمختلف اللغات .

ولكننا لا نرى هذا يتحقق بسهولة ، فقد حدث في ولاية بيهار لأن كبير وزراء شريف لإعترف بها رسميا لغة ثانوية لبعض مناطق الولاية ، ولكنه صار موضع سخط شديد من حزبه ومن الحكومة ، ومن زملائه الهندوس في المجلس الإقليمي ، وكان الرجل قد وضع ترتيبات لوضع قرار الاعتراف بالأردية موضع التنفيذ في العمل في

المكاتب والمصالح الحكومية ، فتعرضت للإهمال والنسيان عمداً ممن خلفه في منصبه ، ومن رجال السلطة المسئولين في الولاية وجلهم هندوس .

أما في ولاية « اترابرا ديش » وفي مناطق دهلى — وهى مولد الأردية ومهدا — فقد صرخ رجال الأردية حتى تعبوا ، وكتبوا ، وأرسلوا وطلبوا ، وبذلوا كل المساعى المستطاعة ، وطرقوا كل باب يدخل فيه وجربوا كل حيلة تتفع ، حتى ملوا ، ولكن الحكومة ورجالها لم ينتبه منهم نائم ، ولم يتحرك منهم ساكن ، لأن اليقظان الذى تناوم لا يوقظ . وزعماء الهندوس المتعصبون — ومنهم من ينتمى إلى الحكومة — يثيرون فيما بين الهندوس السخط والكراهية ضد الأردية ، ويوقظون عصبيتهم ضد الناطقين بها بكل حيلة ممكنة .

وإن ما أبداه أحد وزراء المجلس الإقليمى لولاية اترابرا ديش — وهو واسديف سينغ — في الأيام الأخيرة من آراء مسمومة وأفكار مسعورة ضد الأردية ورجالها إنما يعكس عزم الحزب الذى ينتمى إليه وعزم رجال الحكومة ، وعزم أغلبية الهندوس المتطرفين ، وليس هو رأيه وفكره وحده ، وقد صدرت في الاحتجاج ضد ما قاله السيد الوزير ، مئات المقالات ، وآلاف من الرسائل المنشورة في الصحف والمجلات وعقدت مئات من المؤتمرات الاحتجاج ، وندوات الاستتكار ، وكلها تتلخص في أن تستوجب الحكومة هذا الوزير الذى جاء مقاله ضد الدستور الهندى ، ويستوجب الحرب الذى ينتمى إليه ، لأنه خالف ميثاقه في آرائه ، وجرح مشاعر ملايين الشعب وأهان أحاسيس آلاف من الأدباء والكتاب . . ولكن بدل أن توجه إليه الحكومة أو الحزب أى تأنيب ، نهض كبير وزراء الولاية ليعطل ما قاله السيد الوزير ، ويؤوله على غير ما يحصر هو لعيه من آرائه وفكره ، وكان بعض العاملين في جقل الأردية من على منابر أكاديميات الأردية الرسمية — وهى الأخرى قد أقيمت لتعليق رجال الأردية تعليق الكبار للصغار — قد استقالوا احتجاجا على مقال السيد الوزير

فأرضاهم معالى كبير الوزراء بإعطاء الوعود المعسولة مرة أخرى في شأن اتخاذ إجراءات إنهاض وتعميم الأردنية .

ورغم هذا العداء الصارخ للأردنية ، ومحاربتها على شتى الجبهات ، ومحاولات اقصائها عن مجالات الحياة ، ظلت تقطع أشواطها الحثيثة نحو التقدم والازدهار ، والانتشار بصورة منقطعة النظير . . ومع الأيام تتوسع رقعة الناطقين بها ، ونطاق المستخدمين لغة ثقافية وللعلم وأدب ، وفرضت وجودها على العالم الإنسانى . . وستبقى حية متقدمة منتشرة أكثر من ذى قبل رغم كره الكارهين . . لأنها تفيض بالحياة ، ولأنها تتمتع بصلاحية المسابرة لمتطلبات الحياة ، ولأنها تستطيع أن تكون وعاء الثقافات والأفكار والعلوم والآداب .



### يتحدون رغم جميع الأسباب المفرقة ! (١)

لقد زرت « كلكتا » عاصمة بنغال الغربية وعددا من مدنها وقراها في شهر ذى الحجة ١٤٠٦ هـ ، فرأيت من آلهتهم غير ما أراد في منطقة ولاية « اتراباديش » — الولاية الشمالية — وغير ما رأيته في منطقة ولاية « بيهار » منذ نعومة أظفاري ، ومنذ أن تفتحت عيناى لتريا الكون والحياة وما بث الله فيهما من دابة ، وما أودع فيها من نباتات وجمادات ، وأشجار وأحجار ، وزروع وثمار ، وأراض وأنهار ، واختلاف الليل والنهار ، ومن قبل ذلك زرت المنطقة الجنوبية في الهند فرأيت أنهم يعبدون من الآلهة المهيبة ثماثيلها ما لا يعبد جيراننا في الجزء الشمالى ..

وعلى كل فقد رأيت الآلهة تختلف باختلاف المنطقة ، ورأيت أن أهل كل منطقة يصنعون من الآلهة ما يرضى هوى العبادة عندهم .. فعجبت ، لأنهم يتحدون في قضية دينية رغم اختلاف الآلهة ، واختلاف طريقة العبادة وأسلوب التقديس ، وأن أهالى منطقة الجنوب أو منطقة الشرق يلتقون مع أهالى منطقة الشمال أو منطقة الغرب على نقطة الاشتراك الدينى السلبى ، وهى أن الجميع يعبدون ما لم ينزل الله خالق الأرض والسماء المستحق وحده للعبادة ، وعجبت أيضا من أنهم يتحدون أفكارا وتصورات ، ومشاعر وأحاسيس ، وغيره وحمية ، وقيما ومثلا — إذا كان فى قاموسهم هذه الكلمة — رغم الآلهة المتفرقة المتنوعة ؟ ! •

إن هناك اختلافا شديدا فيما بينهم — إلى جانب الاختلاف فى الآلهة المعبودة عندهم وطريقة أداء العبادة ، وفى إعطاء الأولوية أو القدر الكبير من العبادة لواحد من تلك الآلهة أو توزيع نصيب التقديس بينها — فى الحياة الاجتماعية وأطر المعيشة حيث إنهم يتوزعون طبقات يعلو بعضها فوق بعض القداسة ، وأداء أعمال



وظائف حياتية وعبادية حددتها لهم آلهتهم .. فطبقة لها السيادة الدينية المطلقة والسلطة العليا في التصرفات المتصلة بالدين والمعتقدات وطبقة تليها في السمو الدينى والشرف الإنسانى ، وطبقة تتلوها في التحكم في بعض الشؤون الدينية ، وطبقات هنبوذة مطروحة في سحق الذل والهوان والتبعية الذليلة للطبقات ذات السيادة .. فلا يجوز أن تشرب من الإناء الذى شربت منه طبقة السادة ، أو تأكل فى الأوانى التى أكلت فيها ، أو تحرق جثث موتاها فى المكان الذى أحرق فيه جثث موتى الطبقات العليا ، بل ولا يجوز لها فى أغلب الأحيان أن تؤدى العبادة فى المعبد الذى تؤدى فيه العبادة تلك الطبقات العليا ..

غير أنهم رغم هذا الاختلاف الفاحش ، والتفرق الشديد ، والتوزع الكبير يتحدون فى لحظة واحدة فى قضية العداء للمسلمين ومحاربتهم على جميع الجبهات ، ويحتشدون فى يوم واحد وفى وقت واحد ليغتصبوا من مساجدهم التاريخية أو مصليات عيدهم الأثرية ما يشاءون ، ويكونون صوتا واحدا فى الزعم بأن « قطب مینار » والمسجد الجامع الكبير فى دهلى أو القلعة الحمراء والتاج محل فى أكرا ، أو مؤت من المساجد والمباني التاريخية النادرة البناء والهندسة ، إنما هى من بناء قیل فلانى أو ملك فلانى من أقباليهم وملوكهم .. وأن كثيرا من مساجد المسلمين ومصلياتهم مبنية على مساقط رؤوس آلهتهم — والآلهة عندهم تولد من بطون أمهاتها !!! — أو على المواضع التى شالت فيها نعامتها وارتفعت نأمتها — والآلهة تموت عندهم !! — وكبر ما يبعث على العجب أن هذه الآلهة التى يزعمون أن المساجد كانت موالدهم أو مماتهم ليست آلهة مشتركة عند جميعهم ، فقد يقدس أبناء الجزء الشرقى آلهة لا يعبدها أبناء المنطقة الغربية أو قد يعبد أهالى منطقة الجنوب آلهة لا يآبه لها الشماليون ..

إنهم يتحدون رغم هذه الاختلافات الجذرية الكثيرة ،

ويتجاوزونها في تحقيق مصالح مشتركة وأغراض مشاعة ، وفي ضرب الإسلام والمسلمين ، ومحاربة جميع ما يتصل بهم من حضارة وثقافة وقيم ومثل وآداب وعادات ولهجات ولغات ، فنراها تتلاشى وكأنها لم تكن بينهم قط ..

يتحدون رغم الأسباب المفرقة ، ويتلاحمون رغم العوامل التي كانت كفيلة بأن تجعلهم يتشاجرون ويتعاركون في كل قضية من قضايا الدين والحياة والاجتماع والأخلاق ..

وتقابل هذه الصورة صورة أخرى معاكسة لها تماما ، وهي صورة المسلمين في جميع أنحاء العالم ، أولئك الذين يختلفون اختلافا لا حد له ولا عد ، رغم جميع الأسباب الموحدة ، ويتوزعون في كتلات لا يعلمها إلا الله رغم جميع دواعي التضامن والاتحاد المنبثقة من دينهم وعقيدتهم وشريعتهم وعبادتهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم ..

إنهم يتبعون الدين الذي اعتبر جميع المنضين تحت رايته إخوانا متحابين متعاونين متراسين ، ودعاهم كتاب الله الأخير الذي يؤمنون به إلى أن يذكروا دائما نعمة الله عليهم ، حيث جمعهم في صف واحد وكونهم إخوة متحابين بفضل إيمانهم بالدين الذي ارتضاه لهم ، وقد كانوا من قبل أعداء متحاربين ، وفرقاء متخاصمين فقال : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

إي والله ، إن الإسلام الصحيح ، القوى الفعال ، هو الذي يؤلف بين القلوب ويوحد بين الأفكار ، ويجمع بين العواطف والمشاعر ، والناس بدونهم مهما بدوا متحدين فهم مختلفون ، ومهما ظهروا متعاونين فهم متحاربون ، ومهما ظنهم المخدوعون متضامنين فهم متخاصمون ، لأن الأغراض هي التي جمعتهم ، فإذا ذهب أو أنها أو تهدم بنيانهم فهم بعضهم لبعض عدو .

ولقد قال نبيهم صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يشتمه .. ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » ومثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » أو كما قال — ﷺ — .. والحديث في هذا المعنى كثير .

ثم إن دينهم يعتبرهم سواسية كأسنان المشط ، ويعتبر جميع الناس سواء ، لا يفضل عربى على عجمى أو أبيض على أسود ، أو شرقى على مغربى إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ومن قصر به عمله لا يتقدم به حسبه أو نسبه .

إن اللهم واحد ، وطريقة عبادتهم واحدة ، ونبيهم الخاتم واحد ، وكتابهم الذى فيه دستور دينهم ومنهج عقيدتهم واحد ، وقبلتم واحدة ، وجميع مساجدهم ومصليات عيدهم تتجه جهة واحدة ، والاتحاد مركز في كثير من عباداتهم الأساسية ، فصلاة الجماعة تفوق صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة أو أكثر ، ودينهم أمرهم أن يتجمعوا في الصلاة المفروضة ، وصلاة العيدين ، والصلاة على الجنازة ، وأن تؤدي أركان الصلاة وأعمالها في وقت واحد ، فلا يجوز لأحد يصلى خلف الإمام أن يركع قبل ركوعه أو يسجد قبل سجوده أو يكبر قبل تكبيره ، أو ينتقل من ركن إلى آخر قبل انتقاله ، كما لا يجوز أن يختلف المصلون في الصف بعضهم عن بعض في أداء الأركان ، وإنما يجب أن يؤدوها في وقت واحد معا ..

وقد حدد دينهم في كثير من العبادات الأوقات التى لا يجوز لهم أن يسبقوها أو يتأخروا عنها ، فللصلوات الخمس المفروضة أوقاتها ، وللحج وقته ، وللصوم شهره المحدد ، ويجب على جميع المسلمين المكلفين أن يؤدوا هذه العبادات في تلك الأوقات .

إذا .. فما بالهم يختلفون اليوم اختلافات غير قابلة للحصر ؟ ما بالهم لا يوحدتهم غرض دينى ولا ملطب عقيدى ، ولا هدف إسلامى

ولا مصلحة مشتركة ؟ .. إنهم لا يتحدثون في أخرج الأوقات وأدق  
الساعات ، ولا تجتمع كلمتهم في أهم القضايا والمشكلات .. لا يتحدثون  
حتى في نوعية مقاومة العدو الصهيوني ، ومواجهة الغزو الشيوعي ،  
وإيقاف الحرب الخاسرة بين العراق وإيران ، وتصفية الحساب مع  
جنود الكفر والإلحاد والشيطان ، ويكونون بهذا الاختلاف لقمة  
سائغة للقوى المحاربة لهم ولدينهم ، ويرضون أن يكونوا كرة  
متقاذفة في « لعبة الأمم » .. ونرى الاختلاف بينهم في المؤتمرات  
والندوات ، وحتى في البلاد التي هم فيها أقلية لا يوحدتهم « تأديب »  
أكثرية ، أو تأنيب ضمير ، أفهل صاروا موتى العقول والأفهام ؟ أم  
أنهم يرضون للإسلام أشكالا ومظاهر ، ولا يتبعونه في دائرة الواقع  
والحقيقة ! ؟ .



## اللهم .. لا تسلط علينا نظاما يعد الأنفاس ! (١)

لدى زيارتي الأولى للسعودية كان يسألني كل الأخوة — ولا سيما الشباب — الذين علموا أنني من الهند وأنى رأس تحرير جريدة عربية ، عن مذابح « آسام » التي صادف وقوعها — من سوء الحظ — زمن زيارتي للملكة الكريمة .. وكنت آنذاك قد شرحت بعض أسباب الاضطرابات الطائفية في الهند عامة ، والأسباب المتعلقة بوضع « آسام » خاصة .. فكان بعضهم يقتنع ، وبعضهم لا يقتنع ، ويقول : إن هذا يرجع إلى ضعف المسلمين أنفسهم ، لماذا لا ينتقم المسلمون من الظلمة الذين يصبون عليهم الويلات ؟ .. فأقول لهم : يا إخوتي هل تظنون أن المضروب يقف مكتوف اليد ساكتا واجما لا يحاول أن يرد الصاع بالصاع ؟ ! ..

ولقد قلت لبعض الإخوة الذين رأيت فيهم وعيا إسلاميا كافيا ولمست فيهم خفة الروح والذكاء : إن المسلمين في الهند مضطهدون في أجسادهم ، ولكنهم — والحمد لله — ليسوا مضطهدين في دينهم وعقيدتهم اضطهادا يلقاه المسلمون في كثير من البلاد ، وطلبت منهم أن يدلوني على بلد يعيش فيه الإنسان المسلم من غير اضطهاد جسماني أو عقيدى !! إن المسلمين مضطهدون قليلا أو كثيرا في كل مكان .. ولا يرفعون صوتا ضد الاضطهاد ، إنهم يضربون ولا يستطيعون أن يتأوهوا ، يظلمون ولا يجوز لهم أن يبكوا ، يسحقون ولا يحق لهم أن يعولوا .. ولكن المسلمين في الهند — والحمد لله لهم الحق أن يصيحوا إذا ضربوا ، ويرفعوا صوتهم بالعويل إذا شعروا بشدة الألم ، وقد تؤدي صيحتهم بعض الدور ، يمتنع الضارب بعض الوقت عن عملية الضرب ..

قلت لهم إن بلادا إسلامية لا يستطيع الإنسان المسلم أن

---

(١) نشر في العدد : ١٤ / السنة ٦ — يوم ٢٥ / مايو ١٩٨٣ م

يتنفس فيها بتلك الحرية التي يتنفس بها المرء المسلم في الهند ..  
إننا نبني مدارس ومساجد ، ونقيم الشعائر ، ونعبد الله كما نشاء ،  
ونصطدم بالهنداك على أمور خفيفة إذا كان فيها مساس بأى شعيرة  
إسلامية ولو من بعيد ، ونجد في كثرة وجيهة من الهنداك — الذين  
فيهم بعض طيب الخلق ووعى كرم الجوار — آذانا صاغية .. فهم  
يضمون صوتهم إلى صوتنا ، ويقفون بجانبنا ..

وعلى كل حال لسنا في بلد تعد فيه الأنفاس ، ويعيش فيه  
المرء وهو يخاف على نفسه من زوجته أو ابنه ، وأقرب أقربائه  
وأحب أحبائه ، لأنهم قد يسرقون أخباره إلى الحكومة فتسومهم  
أشد أنواع العذاب ..

نعيش في البد مستريحى الضمير ، مسترخى الصدر ، قريرى  
العيون ، أما الذى بدأنا نواجهه من المواطنين — الهنداك منذ  
استقلال الهند — من الصدمات والاضطرابات ، فذاك شئ لا يرجع  
إلى العصبية الدينية وحدها ولكن قد يرجع إلى مصالح الأحزاب  
السياسية التي تريد أن تكسب الشعبية ضد الحزب الحاكم ..

ونرجو الله العلى التقدير أن يديم علينا راحة الضمير هذه ،  
ولا يسلط علينا نظاما يعد الأنفاس ..

## إلى رشدكم يا قومنا ! (١)

إن هناك قضيتين تأنيان على رأس قائمة القضايا التي تهم الشعب الإسلامى الهندى اليوم ، وهما قضية « الأحوال الشخصية للمسلمين » وقضية اللغة الأردية ، وهما وحدهما اللتان تشغلان اليوم الحيز الأكبر من أعمدة الصحف والمجلات الإسلامية فى البلاد ، وتستقطبان القدر الأكبر من اهتمام المسلمين على اختلاف المذاهب والوجهات ، وتستغرقان الكمية الكبرى من الخدمة والوقت والجهد ، ولو استطعت أن تصغى لجو الهند وسمائها لسمعت لهما ضجة ما سمعت مثلها لشيء من الأشياء فى الوقت الراهن .

وتعقد لهما مؤتمرات وندوات ، وتطلق فى حقهما نداءات وتصريحات واحتجاجات ، وتكتب حولهما مقالات ، وتلقى محاضرات وخطابات ، ولقد كون ذلك كله جوا يدل على يقظة المسلمين الهنود الدينية ، وحيوية ضميرهم الإسلامى .

ولقد كانوا يخوضون المعركة مع الحكومة الهندية من أجلهما منذ وقت أطول ، منذ ما بعد الاستقلال مباشرة ، منذ أن أدركوا أنها تريد أن تقف منهما موقفا غير عادل ، بل وموقفا عدائيا ، وكانت المعركة التي كانوا يخوضونها بسلاح الدستور الهندى الذى أعطى الأقليات حق الاحتفاظ بثقافتها ودينها وحضارتها ولغتها وأدبها ، كانت قد حميت قليلا منذ الأعوام الأخيرة ، منذ أن شعر المسلمون أن الحكومة الهندية غير جادة فى إعطائهم حقهم ، ولا سيما الحقوق التى تتعلق بشخصيتهم الإسلامية وثقافتهم المميزة ، منذ أن شعروا أن العقلية الهندوكية المتطرفة المتعصبة قد أصبحت تملك فى الأجهزة الحكومية ومن السلطة ما تستطيع به تحويل البلاد دولة هندوكية فى الواقع العملى ، وفرض إرادتها على الأقلية

---

(١) نشر فى العدد : ٣ / السنة ٩ — يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٨٥ م .



الإسلامية وعلى الأقليات الأخرى .. وأنها — عاجلا أو آجلا تستطيع أن تقول للأقليات في صراحة لا تقبل تأويلا ، إن أمامكم أحد الخيارين إما أن تعيشوا في الهند رهن إشارتنا وطوع أمرنا ، منصرين في بوتقة ديننا وحضارتنا وثقافتنا ، وإما أن تهاجروا إلى أرض لتعيشوا فيها وفق ما تريدون •

أما القضية الأولى ، وهي قضية « الأحوال الشخصية للمسلمين » وهي تخص المسلمين وحدهم أولا وآخرا ، فقد كونوا لها هيئة مستقلة بجانب عدد من الجماعات والمنظمات الإسلامية تقوم بمساعيها المشكورة في هذه السبيل منذ اليوم الأول ..

وأما القضية الثانية وهي قضية اللغة الأردية ، وهي قضية مشتركة لجميع محبي اللغة والناطقين بها ، ولا تخص المسلمين دون غيرهم ، مع أن المسلمين هم الذين يشكلون عددا أكبر للناطقين بها كلغة التفاهم ولغة الثقافة والعلم والأدب ، ولهذا فقد كان يخوض المعركة للحصول على حق هذه اللغة كل من ينطق بها ويفضلها على اللغات الهندية الأخرى بصفتها أعذبها وأسهلها وأخفها ، وكان على رأسهم أدباؤها وشعراؤها وكتابها المسلمون الذين كانوا قد شكلوا لتحقيق الغرض المنشود جمعيات أردية كثيرة تطالب الحكومة بالاعتراف بها لغة ثانوية في البلاد تلي الهندوكية في العناية بإنهاضها ونشرها على المستوى الرسمي •

ثم حدث بشأن كل من القضيتين حادث جعل المعنيين بهما يشعرون بمدى المؤامرة التي تبيت ضد قضيتهم في جدية وتفكير مدروس في اتصال لا ينقطع ، ويدركون مدى الخطر المحدق بهم كالسيف المصلت على رأسهم ، لهذا وجب أن يواجهوا الخطر قبل أن يصير واقعا لا يدرك ، وأن يستجمعوا قواهم ، ويصبوا كل ما يمكنهم من الجهود في قناة مطالبة الاعتراف بعدالة قضيتهم ، والاعتراف بالحقوق التي تستحقها في ضوء الدستور الهندي •

أما الأردنية فقد حدث في شأنها أن أحد الوزراء الهندوكي الضيق الأفق في المجلس الإقليمي بولاية « اترابراديش » قد أعرب عن رأيه المسموم ضدها بصورة علنية ، وكان الرأي يعكس إطار التفكير لدى الهندوس في شأن الأردنية ، حيث اتهمها بأنها مستوردة وبأنها لغة الغزاة المسلمين المستعمرين لهذه البلاد ، وتكرر اتهامه هذا في عدد من الحفلات والمؤتمرات •• وكان المتوقع أن الحكومة الإقليمية ، أو الحزب الذي ينتمي إليه — وهو حزب المؤتمر — أو كبير وزراء الولاية أو الحكومة المركزية ستؤاخذه بصورة من الصور على رأيه الذي يضاد دستور الهند وميثاق الحزب ومصلحة الحكومة المركزية والإقليمية ، ويلحق الأضرار بوحدة البلاد وأمنها ، ولا سيما بعد هذه الاحتجاجات الصارخة المتواصلة التي لم تقف حتى الآن ، ولكن شيئاً ما من هذا القبيل لم يحدث ، مما أكد أن الحكومة — وقد تسرب إليها أولو عصبية هندوكية من الهنادك ، وأصبح الحل والعقد بأيديهم — قد قررت أن تخضع لإرادة الأغلبية وأن لا تفعل إلا ما تريده الأغلبية •• وما كان الهندوس ليحاربوا الأردنية ويحسبوا مضادة للغتهم لو لم يكن أغلب الناطقين بها هم المسلمون لأنهم يتعصبون ضد كل شيء يتصل بالمسلمين •

وعلى كل فإن رجال الأردنية قد قاموا الآن ليأخذوا حقها من الحكومة ، وربما لا يقعدون حتى يحصلوا عليه ، وما الحصول عليه بمرجو في المستقبل القريب نظرا لسكوت الحكومة الذي يبدو كأنه لا يقبل التغيير •

وأما قضية الأحوال الشخصية للمسلمين ، فقد حدث في شأنها أن إحدى السيدات المسلمات في المنطقة الجنوبية للهند ، قد رفعت دعوى ضد الرجل المسلم — الذي كان قد طلقها — إلى المحكمة الهندية العليا ، وطلبت فيها من المحكمة أن تكلف الرجل بإعطائها النفقة بعد الطلاق ومضى مدة العدة •• فأصدرت المحكمة الأمر بإعطائه النفقة لها بقدر حددته حتى تتزوج رجلاً آخر ، وصدرت

في إصدارها هذا الأمر عن البند ١٢٥ في القانون الجنائي الهندي ، وقالت إن « المتاع » الوارد في القرآن ، إنما يعنى النفقة فيما بعد الطلاق ومضى المدة كذلك ، وصرحت في المقدمة التي كتبتها لهذا الحكم ، أن البند ١٢٥ هو الذي يكون سارى المفعول في القضية المرفوعة للمحكمة ، مهما كان حكم الشريعة لدى المسلمين ، وأوصت الحكومة بتنفيذ القانون المدني الموحد في البلاد ، لأن القوانين المختلفة تؤدي إلى تمزق البلاد وتخدش الأمن والسلامة •

وهذا الحادث قد بعث المعنيين بالقضايا الإسلامية في الهند — بصورة غير معهودة — أن يصنعوا ما يستطيعونه لحصانة الأحوال الشخصية للمسلمين وصيانة الشريعة الإسلامية ، ولا سيما بعد ما رأوا أن جميع تصريحات الاحتجاج وجميع الحفلات والندوات التي أقاموها في هذا الصدد لم تحرك من الحكومة ساكنا ، بل نهض بعض المأجورين وبعض مغسولى الأدمغة من المنتمين إلى الإسلام ليدلل في داخل البرلمان الهندي على صحة الحكم الذي أصدرته المحكمة العليا ، كما نهض عدد من السيدات المتحررات من قيود الإسلام ، وعدد من الكتاب المبغضين للإسلام المتسمين بالأسماء العربية الإسلامية التي تدل على كونهم مسلمين ، ليكتبوا مقالات ورسائل يثبتون من خلالها أن السيدات المسلمات مظلومات ، وأن الرجال المسلمين ظالمون !! •

ولكن أغلبية المسلمين الساحقة لا تحب إلا الإسلام كما هو ، دون تأويل أو شرح من عند من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ، ومن محكمة من المحاكم وبرلمان من البرلمانات •

ولقد نهض رجال العلم والفكر والدعوة ليواجهوا سدا التحدى الدينى الخطر ضد الشريعة الإسلامية •• وحركوا الجماعات والهيئات القائمة لخدمة الإسلام والمسلمين ، ونحمد الله أنها جميعا قد نشطت لتقوم بكل مساهمة ممكنة في خدمة القضية الإسلامية ••

ولكن طبيعة هذا التحدى تتطلب أن يقف المسلمون صفا واحدا ، وأن يرأبوا كل صدع فى الصف ، وينبذوا جميع الخلافات الفرعية ، ويتنازلوا عن الأنانية الشخصية ، والعصبية الحزبية والجماعية ، لأنهم الآن قد وقفوا فى موقف حرج حساس جدا ، فى شأن قضية لهم لو خسروها — لا قدر الله — لخسروا شخصيتهم الإسلامية وكيانهم الدينى ..

ولكنهم يبدو كأنهم قرروا عدم الابتعاد عن هذا الداء العضال الذى يفتى فى عضد المسلمين فى كل مكان فى العالم ، داء الفرقة والشقاق وداء الأنانية وداء المصلحة الفردية والحزبية والجماعية ، فى الوقت الذى قرر عدو القضية أن يحدث الفرقة فى الصف ، وأن يكسب من المأجورين من يحارب المسلمين من داخل الصف ، فنرى كل جماعة تحارب بشكل خفى أو جلى ما تقوم به الجماعة الأخرى ، وكل جماعة تريد أن تكسب الشعبية دون الأخرى ، وأن يسبح الناس بمجد مسئوليتها وحدهم ..

ووالله إنهم لن يكسبوا هذه القضية ذات الأهمية القصوى لو أنهم ساروا على هذه الشاكلة ، ونفخوا فى أبواقهم المختلفة •

فإلى رشدكم يا قومنا فى مثل هذه القضية الخطيرة التى هى قضية الحياة أو الموت ..



## وكانت الضجة عن حق (١)

إن ما أصدرته المحكمة العليا (SUPREM COURT) الهندية في الأيام الأخيرة فيما يتعلق بوجوب النفقة على الرجل المسلم نحو المرأة التي طلقها ما لم تتزوج ، قد ترك ضجة كبيرة في المجتمع الإسلامى الهندى ، وتبادر قادة المسلمين وزعماءهم الحريصون على شريعة ربهم ، فأصدروا بيانات احتجاج صريحة ضد هذا الحكم ، وأخطروا المسؤولين برد فعل المسلمين العنيف نحو هذا القرار •

وكانت الضجة عن حق ، لأن المسلمين يرونه تدخلا في أحوالهم الشخصية ولا سيما وأن المحكمة تعدت حدود سلطتها لتتقدم إلى الحكومة توصية بضرورة تطبيق قانون مدنى موحد في البلاد ، تذعرا بأن قوانين الأحوال الشخصية لأصحاب الديانات المختلفة التى تقوم على نظريات متضاربة ومتحاربة تجعل البلاد تعيش التناقضات ، وصرحت بأن الأخلاقيات تفضل الدين ، ولا يمكن التضحية بها في سبيل الدين •• وصدر القضاة في هذا الحكم عن جهل بالإسلام حيث قالوا : إن الآيات الخاصة من القرآن ، التى قال فيها محمد ﷺ - كذا وكذا ، تسوجب مسئولية كبيرة على الرجل نحو المرأة التى طلقها •

وأضافت تقول : إن البند ١٢٥ من القانون الجنائى للدستور الهندى - الذى يستوجب إنفاق الرجل على المرأة المطلقة - لا يتصادم مع الأحوال الشخصية للمسلمين ، لأن الأحوال الشخصية تستوجب النفقة على الرجل نحو مطلقته في مدة العدة ، والقانون الجنائى الهندى يستوجب الإنفاق عليها ريثما تتزوج •

وإن قلق المسلمين تجاه هذا الحكم ، يرجع إلى مخاوفهم من

---

(١) نشر في العدد : ١٣ / السنة ٨ - يوم ١٩٨٥/٥/٢٥ م •

استغلال العناصر المغرضة المحاربة لأحوال المسلمين الشخصية ، لهذا الحكم لتأكيد ضرورة تطبيق قانون مدنى موحد ، كما ركزت على ذلك المحكمة العليا ، كما أن المسلمين يرونه متصادما مع أحوالهم الشخصية ويرونه محاولة للتدخل فيها .

وفى الوقت الذى يبدى فيه جمهور المسلمين وزعمائهم وقادتهم قلقهم ومخاوفهم بشأن هذا القرار ، يحلو لبعض المسلمين ، ممن يزعمون أنهم ذوو الاتجاه العلمانى ، أو أنهم متحررون يريدون التخلص من قيود الدين وحدود الأخلاق ، أو ممن لهم بعض الأغراض الخسيسة ، يحلو لهؤلاء جميعا أن يبدوا سرورهم البالغ ، وارتياحهم الكبير نحو الحكم ، وقد طلب بعضهم علماء المسلمين وقادتهم بأن يبرهنوا إذا كان لديهم نص صريح يمنع المرء المسلم عن الإنفاق على مطلقته فيما بعد العدة . • وقد غاب عن بال هؤلاء — أو قصدوا أن يغيب — أن الإسلام دين رحمة ومواساة وكفالة ، وأنه قد جرض المرأ المسلم على ذلك بطرق مختلفة ، وأن الأخلاقيات الإسلامية تقتضى أن ينفق المرء على كل الفقراء والمساكين والعجزة ، وكل الذين عبس لهم وجه الحياة . • ولكن هناك فرقا بين الترغيب وبين الإيجاب ، إن الشريعة الإسلامية لم توجب على المرء المسلم النفقة نحو مطلقته فيما بعد العدة . • بينما هذا الحكم الصادر عن المحكمة العليا الهندية يوجب على المرء النفقة عليها ما لم تتزوج .

ولقد ساغ لبعض المغرضين أن يصيدوا فى الماء العكر ، فقالوا : إن مثل هذه المرأة المسلمة المطلقة التى تعيش فى الذل والمهانة والفقير المدقع ، كان لها كفالة من عند بيت المال فى نظام الخلافة الإسلامية ، فإذا تكرمت المحكمة الهندية بتكليف المرء بالإنفاق عليها ، فإنها اتبعت سنن الخلافة ونحن نسأل أمثال هؤلاء : لماذا لم تكفلها الحكومة بدورها ؟ ولماذا لم تنظم لها الإنفاق من حسابها الخاص ، مثل الخلافة الإسلامية ؟ إن الخلافة الإسلامية فى عهدها لم تكلف المرء المسلم الإنفاق على مطلقته ، — ولو شاعت لكلفته إذا رأت مساغا لذلك فى الشريعة — وإنما هيأت لها المعاش من عندها .

وإن مما يزيد قلق المسلمين نحو هذا الحكم وأمثاله أن الحكومة الهندية رغم إعطائها الوعد بعدم التدخل في أحوال المسلمين الشخصية وإعطائها التأكيد لذلك مرات عديدة ، لا ترضى بحيلة أو بأخرى أن تلغى البند ٤٤ من الدستور الهندي الذي يقتضى أن تبذل محاولات لتطبيق قانون مدنى موحد ، رغم مطالبة المسلمين المتواصلة بذلك ، وحتى أنها لا ترضى أن تدخل على هذا البند من التعديل ما يستثنى المسلمين من ذلك ..





## لو زرت هذه المدارس لرأيت عجباً ! (١)

في مثل هذا الشهر : شهر شوال المكرم ، يبدأ العام التعليمي للمدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية ، لينتهي في منتصف شعبان ، والفترة فيما بين ذلك فترة الإجازة السنوية .

ولو أتيح لك أن تزور هذه المدارس والجامعات في شهر شوال لرأيت منظراً خلاباً فريداً في الشكل والمعنى ، لرأيت جنباتها غاصة بطلاب العلوم القاصدين من أنحاء البلاد . طلاب سيماهم البساطة في المآكل والملبس ، تجدوهم الرغبة في التزود من العلوم الإسلامية ، والتربية الدينية وخدمة الدعوة الإسلامية ، لا الرغبة في منصب حكومي أو جاه رسمي أو كسب مادي ، لأن شهادتها غير مقبولة لدى الحكومة ومدارسها وجامعاتها ، ولأن خريجها لا أمل لهم في المكاسب المادية العريضة أو المناصب الحكومية التي قد تدر رزقا واسعا وعيشاً رغيداً ، والتي تتطلب لها الأهواه وتتلطمظ لها الشفاه .

ولرأيت أن إجراءات الالتحاق تتم كذلك في بساطة وسهولة ، ليس لها تعقيدات ولا سلسلة لقاءات طويلة ، واجتماعات فارغة ومقابلات كثيرة ، ومراجعات مملة ، وتردد على المكاتب . . ثم ليس هناك رسوم الالتحاق ولا رسوم تعليمية ، ولا أجور حجرات سكنية وتسهيلات دراسية ، بل التعليم مجاني والسكن مجاني ، والكتب معارة للطلاب ، والدواء والغذاء مجاني كذلك في جل المدارس والجامعات ، ولا سيما الجامعة الأم ، الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ( الهند ) ، التي تعطي طلابها بالإضافة إلى التعليم المجاني والسكن والكتب والغذاء والدواء والكساء عشرين روبية

---

(١) نشر في العدد : ١٨ / السنة ٨ — يوم ٢٥ / يوليو ١٩٨٥ م .

شهرها ، وتسعين روبية مرتين في السنة ، للأخذية والأكسية ، وملابس  
تقيهم البرد في فصل الشتاء •

وقد تظن أن هذا التعليم إذا كان لا يستخدم لكسب الرزق  
وتحصيل المناصب الرسمية ، فقد يكون الإقبال عليه قليلا ، ولكني  
أود من صميم القلب أن يتيح لك الله عز وجل أن تزور هذه المدارس  
والجامعات في شهر الالتحاق ، لكي يزداد عجبك من هذا العدد  
الجم ، والكثرة الهائلة التي تقصد هذه المدارس وتلك الجامعات ،  
حسب سعة كل منها • • وهذا يدل هو الآخر على مدى الغيرة التي  
يتميز بها هذا الشعب المسلم وحرصه على الدعوة والرسالة ، ومدى  
احتضانه للكتاب والسنة ، ومدى صموده في وجه الإغراءات المادية  
في دنيا اليوم ، التي أصبحت فيها المادة أكبر الأضنام التي يقدم  
لها أكبر نصيب من العبادة والنذور والقرايين •

ومع تزايد إقبال أبناء العصر على حطام الدنيا وتزايد عنايتهم  
بجانب المادة والمعدة ، يتزايد عدد الطلاب في هذه المدارس  
والجامعات كل عام ، وكانت بداية هذا العام الدراسي ١٤٠٥-١٤٠٦ هـ  
تبشر بأمل باسم ومستقبل مشرق للتعليم الإسلامي والتربية الدينية  
بصورة عجيبة غير معهودة ، فقد تزايد عدد الطلاب في كل من هذه  
المدارس والجامعات بشكل غير معهود ، كما تفيد الأنباء الواردة  
عنها ، ولا سيما الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند — وهي  
أكبر هذه المدارس والجامعات المعاصرة وأقدمها على الإطلاق —  
وقد ارتفعت نسبة عدد الطلاب فيها ضعفين ، رغما من شدة الشروط  
التي التزمها المسؤولون لدى إجراءات الانتساب ، رغما من تشددهم  
في الامتحان الذي يؤديه الراغب في الانتساب ، مما يدل على أن  
الشعور بالحاجة إلى زيادة المؤهل العلمي قد نما لدى الطلاب في  
السنوات الأخيرة ، وأن القائمين على المدارس والجامعات في الهند  
قد أصغوا في جدية إلى نداء الجامعة الأم ( الجامعة الإسلامية دار  
العلوم — ديوبند ) للعناية برفع مستوى الطلاب التعليمي والتربوي  
والأخلاقي ، حيث كانت قد لاحظت انحداره •

وإذا كان تزايد عدد الطلاب في هذه المدارس والجامعات يعكس بشكل مباشر رغبتهم في التزود من علوم الكتاب والسنة بقصد خدمة الدين والأمة والدعوة ، فإننى أرجو في ثقة من هذه المدارس والجامعات أن تستغل هذه الرغبة أحسن استغلال ، لتحويلها إلى هواية إن شاء الله ، لأن الظروف تتطلب منا أن نجعل التعليم الإسلامى وكسب علوم الكتاب والسنة وبالتالي خدمة الدين والأمة هواية جميع الشباب الإسلامى ، والحاجة أكيدة في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي الهند وشبه القارة الهندية بالذات ، إلى رجال أكفاء ودعاة مؤهلين ، وعلماء ذوى بصيرة وألمعية وذكاء غير عادى . ليقودوا سفينة الأمة في هذه الأمواج المتلاطمة ، والرياح العاصفة في نجاح وأمان .

أما بالنسبة إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ، فيمكن أن نؤكد أنها أزمعت على هذا النهج الذى أشرنا إليه ، وسيحالفها التوفيق في هذا التصدد ، فإن الله من وراء القصد ، وليس أدل على قصدنا العازم من أنها قبلت هذا العدد الهائل من الطلاب في العام الدراسى الحالى فوق طاقتها ، متوكلة على الله ، واثقة من هذا الشعب المسلم في هذه الديار ، والذى استجاب دائماً لدعوتها ، ووقف دائماً بجانبها ، وقدم لها دائماً ما أمكنه من دعم مادى ومعنوى ، وانطلاقاً من هذه الثقة قال الرئيس المساعد للجامعة فضيلة الشيخ « وحيد الزمان الكيرانوى » ، في إحدى الحفلات الشعبية خلال جولته الميدانية الموسعة بهدف تعريف الشعب بمشاريع الجامعة التعليمية والبنائية الجديدة : إن الجامعة هى الوحيدة بين شقيقاتها ، من المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية إنها الوحدة التى ليس لها حسابات عريضة في البنوك ، وإنما حسابات في جيوبكم أيها الشعب المسلم الغيور ، وأنه قد يمر على الجامعة يوم لا توجد عندها نفقة غد ، ولا يوجد عندها ما تصرف به رواتب هذا العدد الهائل الهائل من الأساتذة والموظفين ، ولكن لا تمضى ليلة الغد إلا وقد وفر الله لها ما يفرج عنها الحزن من حيث لا تحتسب .



## قلاع حصينة للدين (١)

لقد بدأت المدارس والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية عامها الدراسي في شهر شوال ١٤٠٦ هـ — ١٤٠٧ هـ ككل الأعوام الدراسية ، وتم قبول الطلاب الجدد ، كما تم نقل الطلاب القدامى ... إلى السنوات الأعلى ، وانتهت عملية الترتيبات اللازمة لبداية التعليم ، وبدأ التعليم فعلاً ..

وإن الشيء الجدير بالملاحظة في هذه المناسبة — أن عدد الطلاب يتزايد كل عام ، كما تتزايد المدارس ، رغم أن المتخرجين في هذه الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية والحائزين على شهاداتها ، لا يجدون أمامهم فرصة المناصب الرسمية والوظائف الحكومية ، ذات الرواتب المرغوب فيها ، ولا تقبلهم الجامعات والكليات الحكومية — إلا استثناء — أساتذة ومدرسين عندها ..

ورغم ذلك فإن نسبة الطلاب ترتفع في كل من هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية ، التي تسير بتبرعات المسلمين وحدهم ، ولا تقبل أى معونة من الحكومة ، ويزداد إقبال أفلاد أكباد المسلمين عليها ، مما يدل على أن الوعي الدينى بات يزداد في المسلمين ، وأن الشعور بصيانة العقيدة ، وتحصين الشريعة ، وحماية الجيل الناشئ من الذوبان في العقائد وتعاليم الديانات المختلفة — والهند من أخصب بلاد الله ديانة — قد أخذ حظه بالفعل في قلوبهم ، وذاك شيء جدير بالإشارة والتسجيل .. وإن ذلك يرجع إلى طبيعة الصراع الذى فرض عليهم أن يعيشوه مع المواطنين الهندوس ، وهم الأغلبية الكاسحة ، حيث جعلوا المسلمين بمواقفهم غير المعقولة يشعرون أن كياناتهم الدينية غير مأمون ، وأن وجودهم العقيدى في خطر شديد .

---

(١) نشر في العدد : ١٩ / السنة ٩ — اليوم يوم ١٠/٧/١٩٨٦ م .

إن طبيعة الصراع بين أمتين يبعث كلا منهما على إعداد العدة وصنع القوة ، والعناية بمرتكزاتها العقيدية والحضارية والثقافية ؛ حتى لا يمسه أحد بسوء •

كم من محاولات وكم من مساع بذلت وتبذل من أجل القضاء على الكيان الإسلامى فى الهند ، ومن أجل نزع النشء الإسلامى من حضن الدين والعقيدة ، ومن أجل إرغام المسلمين على أن يتخلوا — إذا أرادوا أن يعيشوا فى هذا البلد — كلياً أو جزئياً عن شريعتهم ومقتضى دينهم ، وعن شخصيتهم الإسلامية المتميزة ، وأن يذوبوا فى بوتقة الشخصية الوطنية العلمانية العامة •• ولكن المسلمين — بفضل من الله وحده — لم يقبلوا ذلك فى قليل أو كثير ، بل ازدادوا عناية بما يحمى دينهم ، ويصون شريعتهم ، ويمنع شخصيتهم من الذوبان ، ويمنع جيلهم الجديد من الارتواء فى حضن المعتقدات الخرافية والتقاليد والطقوس الوثنية •

وإن هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية — كما قلت مراراً — قلاع حصينة للدين ، وهى التى تضمن للمسلمين بقاءهم وبقاء دينهم مع جميع مزاياهم الحضارية والثقافية ، ولولاها لما كان لهم هذا الكيان الدينى الشامخ المستقل الصلب الذى لا يقبل أى عملية للكسر والتدويب والدمج •• فهى التى تخرج لهم علماء الكتاب والسنة ، ودعاة الدين ، وخطباء الإسلام ، وأئمة المساجد ، وقادة الفكر ، ورجال التربية والتعليم وزعماء الإصلاح ، وكتاباً ومؤلفين فى المواضيع الإسلامية وصحفيين إسلاميين ، وأدباء الدعوة والتبليغ ، وأساتذة الدراسات الإسلامية ، والباحثين فى علوم الكتاب والسنة ، وعلماء العربية بآدابها وفنونها وصانعى الرجال ، ومخرجى الأبطال ، ومربى الأجيال •• فليهنأ للمسلمين شعورهم الدينى المتزايد ، وليهنأ للمدارس والجامعات الإسلامية هذا الامتداد والانتشار ، وليهنأ للجيل الإسلامى الناشئ هذا الإقبال المطلوب على دور التعليم والتربية ومراكز الإشعاع الفكرى والعقيدى ••

## ماذا تعنى « المدرسة » فى الهند ؟ (١)

إن المرابطين على الشجر الإسلامى فى الهند كانوا عقلاء أذكىاء يوم شادوا للحفاظ على الكيان الإسلامى فى مدى البلاد معاقل حصينة فى صورة المدارس والمعاهد ، إنهم رأوا أنه لا يمكن الوقوف فى وجه الخصوم الفاتحين — أعنى الإنجليز والقساوسة ورجال الإرساليات التبشيرية — الذين يملكون الحول والطول ، والجنود والبنود ، ويتمتعون بأكبر سلطة وقوة على وجه الأرض فى عصرهم ، وحكومات موطدة الأركان ، ومملكة شامخة البنيان لا تغرب عنها الشمس ، لا يمكن الوقوف فى وجههم بسلاح الحديد والنار ولا سبيل إلى مقاومة زحفهم العقائدى الذى يمدده زحفهم الاستعمارى السياسى بشن معركة مكشوفة فى الميدان تنفع فيها قوة الساعد والسنان .

ولقد جربوا — فعلا — محاولات عديدة للتخلص وخاضوا معارك عديدة ، ولكنها باءت بالفشل وكان آخرها تلك المعركة التى خاضتها مع الإنجليز فى ميدان قرية « شاملى » ( الواقعة على مقربة نحو خمسين ميلا من مدينة ديوبند التى تحتضن أكبر وأقدم جامعة إسلامية خاصة بالمسلمين ) الكتبية المؤمنة المؤلفة من خلاصة عباد الله المخلصين ، والعلماء العاملين ، وعلى رأسهم الإمام « محمد قاسم النانوتوى » أحد مؤسسى جامعة ديوبند ، والحاج الصالح « أمداد الله » المعروف بالمهاجر المكي ، والعلاقة الفقيه « رشيد أحمد الكنكوهى » والحافظ ضامن ( الذى وقع شهيدا على أرض معركة ) وغيرهم ، ذلك لأن السلطة الحاكمة لا تقارم إلا بسلطة مثلها .

ولهذا كان من المحتم إنشاء معاقل منيعة يهجمون منها على أوكار العدو ، وتتكرر على صخرتها كل هجمة تصطدم بها ، ويربون فى داخلها الصفوة المختارة ، والخلاصة المصطفاة من فتيان الإسلام ،

---

(١) نشر فى العدد : ١٢ / السنة ٧ — يوم ٢٥ / إبريل ١٩٨٤ م .



تربية دينية وإيمانية صحيحة ، ويدججونهم بالأسلحة العلمية من كل نوع ينفع في المعركة ، وتكون بمثابة مراكز النوعية والأشعاع الديني والعلمي ، والثقافي والتربوي الذي يرجع إليه الشعب المسلم في كل شأن من شئون دينه وعقيدته ، ويشحن هناك بطاريته الإيمانية ، وتكون كذلك بمثابة ثكنات إسلامية تمتلئ بقوات مسلحة مدربة ذات غناء وكفاءة لدى كل معركة بين الجاهلية والإسلام ، وبين لهيب « أبى لهب » وسراج النبي محمد — ﷺ — طبقا لتعبير الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال — .

ولم تكن هذه الخطوة أمرا هينا وإنما كانت دعوة للموت الزؤام وذلك لأن الإنجليز — هم الآخرون — نظروا إلى هذه المدارس باعتبارها ثكنات إسلامية ، فقد كانوا أذكياء في السياسة ، يدركون خطورة الأمر قبل تمامه ، ويتبينون أعقاب الأمور بالنظر إلى صدورها مهما كانت أشباها ملتوية (١) .

فحسبوا هذا الأمر حسابا دقيقا ، وتتبعوا المحاولات الإسلامية الهادفة إلى هذه الناحية ، وصبوا الويلات على أبطالها ، والدليل على ذلك — مثلا — قصة تعقب ومحاولات اعتقال الإمام « محمد قاسم النانوتوى » والشيخ الحاج عابد حسين من مؤسسى جامعة ديوبند وغيرهما ، تلك المحاولات التى دأبت عليها السلطة الإنجليزية، حتى قضوا نحبتهم وما بدلوا تبديلا . . . وعلى ذلك فكم من أبطال المرابطين على الثغر الإسلامى — بأسلوب من أساليب المرابطة — عذب ، وشرذ ، ونفى وقتل ، وأهين .

يتضح من ذلك أن « المدرسة » إذا كانت تعنى في بلد ما مؤسسة تعليمية تلقن العلم والمعرفة فقط ، وتزود الطلاب بالمعلومات الثقافية وحدها ، فإنها في شبه القارة الهندية أعمق من ذلك وأوسع ، وأشمل وأدق ، إنها تعنى تلك الأهداف السامية التى أشرنا إليها

---

(١) تلميح إلى بيت الحماسة :

تبين أعقاب الأمور إذا مضت وتقبل أشباها عليك صدورها

آنفا ، إنها بمنزلة آلة تنفخ الحياة في كيان المسلمين الديني ، إنها وسيلة وحيدة لإبقاء المسلمين على الإسلام في هذه الديار ، إن المسلمين ههنا يحتاجون إليها احتياج الجائع إلى الغذاء والمريض إلى الدواء ، والعريان إلى الكساء ، بل السمك إلى الماء .

وإن مما يجدر بالتسجيل والملاحظة أن المسلمين الهنود لا يطلقون كلمة « المدرسة » إلا على المدارس العربية الإسلامية الأهلية التي أقاموها لتلك الأغراض العظيمة ، أما المدارس الحكومية فلا يدعونها إلا بكلمة « اسكول » الإنجليزية التي دخلت في اللغة الأردية ، ثم إنهم توسعوا في كلمة « المدرسة » فأطلقوها على صغرى المدارس مثل الكتاتيب ، وعلى كبرى المدارس حتى التي تعدل الجامعات .

وإذا كانت المدرسة قد أدت فيما قبل استقلال الهند وتقسيمها ذلك الدور الجامع ، فإنها تؤدي اليوم دورا لا يقل عن الأول ، بل قد يفوقه بالقياس إلى الظروف والملابسات التي خلقها الاستقلال والتقسيم ، والعصبية الطائفية التي عمل الإنجليز على بث سمومها في المجتمع الهندي ، وزرع الإحن والعداوة والحقد فيما بين الهندوس والمسلمين ، وما جلوا عن الهند حتى ثبتوا الشعور في قلوب المواطنين الهنالك بأن المسلمين هم خطرهم الحقيقي ومنافسهم الوحيد ، وعدوهم الطبيعي في هذه البلاد .

ولقد تحولت الهند بعد الاستقلال إلى دولة علمانية ، وقرر واضعو الدستور أن الحكومة لا تتعرض لدين المواطنين وعقيدتهم نفيا أو إثباتا ، ولا تعلمهم ذلك في مدارسها وجامعاتها إلا كمادة المعارف العامة ، لأن الهند ذات ألوان وأشكال من الأديان والنحل ، فليكن الحبل في هذا الشأن مقروكا على غارب المواطنين ، هنالك برز دور هذه المدارس ، لأن المسلمين لم تعد لديهم وسيلة إلى تعلم الدين والعقيدة ، والكتاب والسنة ، والاسترشاد في الشؤون والقضايا الدينية ، والاستعانة فيما يتعلق بالحفاظ على حقوقهم وصيانة شخصيتهم الإسلامية من الذوبان والاندماج في معتقدات

الأغلبية الهندوكية لم يعد نديهم إلا هذه المدارس والمؤسسات التي نشروا شبكتها في طول البلاد وعرضها •

ولهذا أكثروا من إنشاء المدارس ، حتى بلغت عشرات الآلاف — فيما بين الصغيرة والكبيرة — ولا تزال هذه السلسلة المباركة لإنشاء المدارس والمؤسسات قائمة ، والمعنيون بالقضايا الإسلامية من أفاضل علماء الهند دائموا الدراسة لأوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية في كل منطقة في الهند ، ودائبو التفكير في إنشاء أمثال هذه القلاع في كل مكان يحتاج إليها ، وتوسع نطاق القديمة منها وتجديدها وتطويرها •

ولهذا فإن تقديم العون لهذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في الهند يعنى إسعاف المسلمين بشأن الحفاظ على الدين والعقيدة والكيان الإسلامى في هذه البلاد ، ولايعنى مجرد تقديم العون للترود بالمعلومات الثقافية والدينية وحدها •

## قصة المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية

### في شبه القارة الهندية

إذا كان هناك شعب أثبت تماسكه المطلوب في الصراع الحضارى والثقافى والعقيدى ، معتمدا كل الاعتماد على عون الله ، ثم ساعده ، وأكد نجاحه إلى حد كبير في صنع مستقبله بيده ، وكتابة حظه بمداد من جهده العقلى ووعيه العقيدى المتيقظ ، وذكاؤه الفكرى والدينى ، رغم اتصال المؤامرات وتسلسل المحاولات منذ مدة متطاولة بقصد تفريغه من أصالته الحضارية والثقافية والعقيدية، فإنه شعب عظيم حقا ، سينكسر — بإذن الله — على صخر عظمته وصموده ، كل نوع من محاولات تذويبه واحتوائه . . . لأن عظمة الشعب لا تقاس بكثرة أفراده وغنائه المادى ، وتطوره في الشكل والمظهر ، وارتفاع مستواه الاقتصادي والمعيشى وإيجادته لفن المحاكاة والتقليد ، وإكثاره من استيراد الخبرات والمناهج والأفكار . . وإنما تقاس عظمته بمدى قدرته على تجاوز المحن والأزمات ، والنجاح في إحباط المؤامرات التى تحاك ضد ما يعتز به من عقيدة ودين وهدف ، وضد قيمه ومثله الحضارية العريقة التى تميزه عن غيره من الشعوب . . وإنما تقاس عظمته بقدر ما يتمتع به من غيره على مقوماته ، وبقدر أصالة الفكر والتراث .

ذلكم هو شأن الشعب الإسلامى الهندى الأبقى المعتر بدينه وبكل ما يمت إليه بصلة ما ، والذى أبى أن ينهار أمام الاستعمار القوى الماكر ومحاولاته لتذويبه وصهره في بوتقة المسيحية المشوهة والصليبية الحاقدة . . ولا يزال يخوض أعنف صراع حضارى وعقيدى تدور رحاه على طول الأرض التى يسكنها ، والتى أفرغ

---

(١) نشر في العدد : ١٧ / السنة ٨ - ١٠ / يوليو ١٩٨٥ م .

فى تطوورها الحضارى أصلح ما عنده من كفاءة وذكاء وجهد طوال القرون المتطاولة •

نحن نعرف أن هناك شعوبا إسلامية فى كثير من بلاد الله ذات الحضارة العريقة والعقيدة الراسخة ، ومع ذلك استطاع الاستعمار أن يفرض عليها الاستسلام كليا أو جزئيا ، ولم توفق من سوء الحظ — رغم العقول المفكرة ورغم القيادة الجريئة — أن تصمد فى وجه الاستعمار الذى منيت به صمودا مطلوبا ، ولم تقدر على إحباط محاولاته الماكرة فكريا وعقديا ••

ولكن الشعب الإسلامى الذى يقطن هذه القارة الشرقية ، قد استطاع بحول الله وقوته ، وبذكائه الدينى غير العادى ، وبما يمتاز به من صدق الولاء والانتماء إلى النبى العربى الهاشمى القرشى سيدنا محمد — ﷺ — ورسالته ودعوته الخالدة الباقية ، وبروح التضحية والتفانى فى سبيل الدين الذى يعتز به ، تلك الروح التى خلقتها فيه التربية الدينية والإيمانية الصحيحة ، التى أخذها بها العلماء الربانيون ، والدعاة الصادقون ، الذين عصروا قواهم الفكرية والدعوية فى القيام بخدمة الدعوة والقرآن — استطاع أن يحبط محاولات الاستعمار البريطانى فيما يتعلق بنزعه من حضان الدين الإسلامى والحضارة الإسلامية والدعوة المحمدية ، وإن استطاع الاستعمار أن يلحق به بعض الخسائر سياسيا واقتصاديا ، فإنه لم يستطع بحيلة أو بأخرى أن يلحق به الأضرار حضاريا أو عقديا ودينيا ، رغم نظام التعليم والتربية الغربى الذى فرضه على أبناء البلد وأبناء هذه القارة ، ليعد منهم جيلا هنديا فى جنسيته ولونه ودمه وأوربيا فى فكره وعقيدته ومنهج حياته ، كما صرح بذلك أحد قادة الاستعمار وهو يفصح عن هدفه من نظام التعليم والتربية الذى كان مطبقا فى هذه الديار •

أ تدرى ماذا صنع هذا الشعب ليبقى صلب القناة تجاه

الاستعمار الغاشم ومؤامراته الاحتوائية والتذويبية ؟ محافظا على دينه وعقيدته وحضارته ؟ مبقيا على الكيان الإسلامى بمزاياه وخصائصه ؟

لقد رأى أن الاستعمار قد قضى تماما على الدولة المغولية الإسلامية — التى كانت على علاقتها ترسا للإسلام والمسلمين فى الشرق الإسلامى — وأنه أحكم قبضته على هذه البلاد ، وأنه يحاول بكل ثقله السياسى والاقتصادى والثقافى والتعليمى أن يطمس معالم الإسلام فى هذه الأرض ، وأن يجعلها أثرا بعد عين ، ويخلق أندلسا آخر فى الشرق ، ويحل حضارته وثقافته محل الحضارة والثقافة الإسلامية ، ورأى أن الإسلام وحده هو الهدف الأكبر الحقيقى ، وأن المواجهة والمجابهة ليست إلا بين المسيحية والإسلام — رغم عدد من الديانات العريقة فى هذه الديار ذات الوثنية الذاهبة فى أعماق التاريخ — لأنه وحده الذى لا يعرف المسألة والمهادنة والمساومة مع غيره من الديانات ، ويجرى مع الرياح حيث هبت ، أما غيره من الديانات فهى تقبل الميوعة والاندماج والذوبان فى يسر ، وترضى بالمساومة على « المنافع والأرباح » و « الخسائر » فى سهولة ..

ورأى أنه لا سبيل إلى مجابهته فى القريب العاجل فى الميدان بقوة الساعد والسنان ، فمال إلى إنشاء قلاع دينية فى صورة المدارس والجامعات الإسلامية والمجامع والمؤسسات الثقافية ، يربى داخلها النفس الإسلامى على التربية الإسلامية ، ويثقفها بالثقافة الإسلامية ، ويغذى المجتمع الإسلامى ، بالدم الإسلامى الصحيح الصافى ، ويعد جيلا هنديا فى جنسته ودمه ولونه ، حجازيا ومحمديا فى دينه وعقيدته وتفكيره ومنهج حياته ، ويقاوم كل المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، ويعمل على محاربة الاستعمار وإزالة ضبابه الكثيف الخبيث عن جو هذه الأرض وسمائها ، وقد كان هذا الشعب الإسلامى الوفى المخلص موفقا فى ذلك ، وقد تم له كل ما أراد ، وجاء يوم جلا فيه الاستعمار بعد مدة طويلة زرع خلالها نباتات

خبيثة من الحضارة والثقافة ، وأمراض الإحن والحقد والبغضاء  
بين أبناء هذه القارة المنتمين إلى ديانات شتى وجنسيات مختلفة ،  
ولا يزالون يعانون من حصادها المر ويلات لا أول لها ولا آخر •

تلك هي الحلقات الأولى من قصة هذه المدارس والجامعات  
الإسلامية المنبثة في طول شبه القارة الهندية وعرضها والتي أدت  
دور الحارس الأمين والمرابط النشط اليقظ في صيانة الكيان  
الإسلامي والحفاظ على شعائر الإسلام في هذه الديار ، ومنعت  
الهند من أن تتحول أندلساً أخرى ، وقفت دون إرادة الصليبية التي  
حاولت أن تنتقم من الإسلام في هذه الديار ، لقاء الذل الذي أذاقه  
إياها صلاح الدين الأيوبي — أحد أبناء الإسلام البررة — في  
فلسطين •

وللقصة حلقات لاحقة تحتاج إلى صفحات واسعة ، وقلم  
سيال سريع السير ، وقارئ صبور لا يعرف الملل ، وإيجازها في  
كلمات أن هذه المدارس والجامعات الإسلامية ، أدت دور الجندي  
الوفى في المراقبة على الثغر الإسلامي في هذه الظروف العصيبة التي  
أعقبت الاستقلال •

وجلا الاستعمار بمساعي التحرير التي قام بها أبناء البلاد ،  
وكانت لبنا الإسلام الأولوية والقدرح المعلى فيها ، وقامت في الهند  
دولة علمانية لا تتحاز لدين دون دين ، وإنما تركت الحبل فيما  
يتعلق بالدين والعقيدة على الغارب •• ولكن أدواء الإحن والبغضاء  
والعداء ، التي رمى بها الاستعمار أبناء هذه البلاد ، أعطت ثمارها  
البغيضة ، وبدأت سلسلة الصراع بين أبناء الإسلام وبين غيرهم من  
أبناء البلاد الذين كانوا الأكثرية ، وهم الإخوان الهندوس ، ويبرد  
الصراع في مكان ليسخن في آخر ، ولكنه قائم على قدم وساق ، إنه  
هو الآخر صراع حضاري وثقافي دقيق وعميق وشامل ، يستهدف  
عقيدة المسلمين وثقافتهم وشريعة ربهم وأحكام كتابه وسنة نبيه ،  
وقد تكون الحكومة معذورة بحكم موقفها العلماني ، وقد تكون

متفرجة أو واقفة موقف اللف والدوران بحكم أغلبية الإخوان الهندوس في البلاد ، وفي السلطة على السواء .. ولكن مسئولية المسلمين ومسئولية غيرهم من المواطنين أيضا تبقى قائمة نحو الحفاظ على العقيدة التي ينتمون إليها ، والدين الذي يتبعونه •

هنالك برز دور هذه المدارس والجامعات — وعلى رأسها الجامعة الأم : الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ( الهند ) — لأنه لم يعد هناك سبيل إلى الحفاظ على العقيدة وتوعية المجتمع الإسلامى بأحكام الكتاب والسنة وإنارة الطريق أمام المسلمين ليعيشوا مسلمين ويموتوا مسلمين ، ويربوا أولادهم وأفلاد أكبادهم على تعاليم الإسلام ، لم يعد من سبيل إلا سبيل هذه المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية ، التي تسير بتبرعاتهم وحدها في أغلب الأحيان •

وإن كل ما ترى اليوم في شبه القارة الهندية من المد الإسلامى المتزايد ، وكون الشعب الإسلامى مرهف الشعور وحادر العاطفة ، وشديد الحب لله ولرسوله — ﷺ — ، وكثير الحنين إلى مطلع فجر الإسلام ومهد الإيمان ، ومن كون الثقافة الإسلامية تؤدي دورها المرتقب رغم المناخ الغير الملائم ، وكون أبناء الإسلام يعيشون بمزايهم الحضارية والثقافية والدعوية إنما يرجع الفضل في كل ذلك إلى هذه المدارس والجامعات والمؤسسات والمعاهد الثقافية المنبثقة منها ، والحركات والدعوات المتفجرة من ينبوعها ••

ولقد سبق أن قلت : إن المدارس والجامعات الإسلامية إذا كانت تعنى في غير الهند مجرد مراكز للتثقيف والتعليم والتربية فإنها في الهند تحمل معنى أدق وأشمل من ذلك إنها قلاع الإسلام ههنا ، إنها تصنع الرجال ، وتربي الأبطال ، وتخرج الدعاة وتصوغ العلماء والباحثين ، وتمد المجتمع الإسلامى الهندى بكل ما يحتاج إليه من غذاء روحى ودواء إيمانى ووعى إسلامى ، وتسعفه بكل



توجيه وإرشاد يحتاجه فيما يتصل بدينه ودنياه ، وتغذيه بالعقول  
المفكرة والرؤوس المدبرة والقيادة الصالحة ، وتوقد مجامر القلوب  
إذا خمدت ، وتشعل العواطف إذا فترت ، وتوقظ المواهب إذا  
جمدت ، فلتبق هذه القلاع حصينة متينة ، لتزدهر هذه الدوحات  
ولتتفرع ، ولتتمو هذه الأشجار وتورق وتزهر وتثمر أكثر من ذي  
قبل ..

## الهيئة الخيرية المعطاءة (١)

إن الواجب على التاريخ أن يسجل بحروف عريضة ما يمتاز به المسلمون في الهند — ولا سيما علماءهم وقادتهم الدينيون ورجال الفكر والدعوة فيهم — من التيقظ والحساسية المطلوبة نحو كل محاولة ضد أى شيء من أحكام دينهم وعقيدتهم وشريعتهم ، ومن الملاحقة الدائبة لكل رأى أو فكرة تمس كرامة الأحكام الشرعية من قريب أو بعيد ، وهو الشيء الوحيد الذى جعلهم يعيشون في هذه البلاد — بعد سقوط حكمهم وخلال الحكم الاستعماري البريطاني ، وبعد استقلال الهند ، الذى خلق أوضاعا جديدة ، ومتطلبات جديدة ، وقضايا غير التى عاشتها الهند من قبل — بشخصيتهم الإسلامية المستقلة ، مرفوعى الرأس ، فارعى القامة •

لقد أفرزت الظروف التى نالت الهند فيها الاستقلال ، وتوزعت بين دولتين : الهند وباكستان ، مشكلات كثيرة لم يكن المسلمون ليثبتوا قدرتهم على تجاوزها ، إلا بذكاء ديني وغيره إسلامية وولاء صادق للدين والعقيدة ، ولقد كانوا يتمتعون بكل ذلك بفضل ما غرس فى قلوبهم العلماء الربانيون ودعاة الإسلام الصادقون ، والمربون الإسلاميون المخلصون الذين أحسنوا تربية الجيل الإسلامى فى هذه المنطقة من دنيا الله ، فقد تم على أرض هذه القارة عبر قرون طويلة أروع جهد فى تعليم الشبيبة الإسلامية ، وتربيتها الدينية ، وفى خدمة الثقافة والدعوة والرسالة الإسلامية •

فبعد تحرير الهند ( ولا سيما بعد انقراض الجيل الهندوسى الذى تكاتف مع المسلمين فى معركة تحرير الهند ، وشهد حسن بلائهم وصدق تضحياتهم ، ونصيبيهم الأكبر فى العمل على جلاء

---

(١) نشر فى العدد : ١٢ / السنة ٨ — يوم ٢٥ / ٤ / ١٩٨٥ م •

الاستعمار ، وبعده في بناء الوطن وتنميته وإنهاضه من كل الوجوه ( جاء جيل جديد يجهل — وأحيانا كثيرة يتجاهل — توضيحات المسلمين في سبيل خدمة الوطن ، هذا الجيل تربى على معانى العداء للمسلمين ولكل ما يتصل بهم ودينهم ، وأنتج له أن يشغل مناصب حساسة في الحكومة ، ويدبر دفة السلطة والإدارة في هذه البلاد ، ورأى هذا الجيل أن المسلمين لا يزالون يعيشون بخصائصهم وشخصيتهم الإسلامية وثقافتهم العربية والإسلامية ، فبدأ ببذل جهده لمحو تلك الشخصية وأخذ يزرع العقبات في طريق عمل المسلمين بأحكام الكتاب والسنة ، من خلال الدعوة إلى الانصهار في بوتقة الوطنية حيناً — بهدف الإبقاء على الوحدة الوطنية — ومن خلال تأكيد الحاجة إلى الانحراف مع التيار القومى ، وإلى تنفيذ قانون مدنى موحد لجميع المواطنين حيناً آخر ، وذلك بالرغم من أنه قد تقرر أن الهند جمهورية علمانية — حسب الدستور الذى أقره القادة بعد استقلالها — يتمتع كل المواطنين في ظلها بكل حرية فيما يتعلق بدينهم وشريعتهم •

وفي هذا النطاق بالذات ، ومن هذا المنطلق نفسه ، ترفع الأصوات من حين لآخر لإدخال تعديلات على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، بهدف التدرج بهم إلى « الانحراف مع التيار القومى » و « الانصهار في بوتقة الوطنية » وأخيرا إلى تهنيدهم بمعنى هندكتهم تماما •

ولم يكن هذا الواقع ليشد انتباه المسلمين كثيرا ، ويثير في قلوبهم مخاوف وشكوكا ، أو شعورا بعدم الاستقرار أو الضياع لو كان مثل هذا الهتاف مصدره الطبقة المتطرفة من الإخوان المواطنين الهندوس ، تلك الطبقة التى لا ترى للمسلمين حق البقاء في الهند أصلا ، وأنه لابد لهم ، إما أن يخرجوا من الهند أو يقبلوا عملية « التهنيذ » — أى عملية الهندكة في أبعادها الحقيقية •

وإنما الذى يثير قلق المسلمين ، ويقض مضجعهم ، تلك

البيانات والتصريحات والإشارات التي يطلقها أولئك الذين يزعمون أنهم ذوو الاتجاهات العلمانية ، وأنهم يتسمون بالتفكير الموضوعي في القضايا الوطنية ومشكلات المواطنين ، على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم واتجاهاتهم .

ويزيد الطين بلة ما يقع من المسؤولين الحكوميين والإداريين — وعلى صعيد الحكومة بالذات — من محاولات في هذا المجال تستهدف قانون الأوقاف الإسلامية ، وقضية الطلاق والخلع ، وقضية التبني ، وقضية نفقة المرأة المطلقة ، وقضية فرض ضريبة الربح على الأوقاف إلى غير ذلك ، مما يمس الأحوال الشخصية للمسلمين ، ويهدد شخصيتهم الإسلامية المستقلة وحریتهم الدينية .

وقد يستند المسؤولون في هذا الشأن إلى بيانات وأقوال تصدر عن أفواه مغسولى الأدمغة من الإباحيين والمتحررين من المنتمين إلى الإسلام ممن لم يستقر الإسلام في قلوبهم ، أو من الذين يريدون أن يتخلصوا من ربقة الإسلام وقيوده ، أو من كانت معلوماتهم عن الإسلام غير وافية وغير مباشرة ، ولا يعرفون من الدين إلا اسمه وهؤلاء لا يمكن أن يمثلوا المسلمين في الهند ولكن المسؤولين يتصيدونهم بما صدر من أفواههم من هراء ، وليقولوا إن المسلمين بدورهم يطلبون إدخال تعديلات على قانون الأحوال الشخصية لهم ، وماداموا هم الذين يطلبون ذلك فلا بد من الاستجابة .

من أجل ذلك مست الحاجة إلى أن يكون قادة المسلمين — رجال الفكر والدعوة فيهم ، والمعنيون بشئون دينهم على اختلاف طبقاتهم — هيئة ، ليقاوموا من على منبرها كل المحاولات الرامية إلى تغيير أحوالهم الشخصية وقوانينهم الدينية ، وإلى إذابة شخصيتهم الإسلامية .

فأسسوا فعلا في ١٩٧٢ م « هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين » تحت قيادة جامعهم الإسلامية العريقة الأم : الجامعة الإسلامية دار العلوم — ديوبند ، التي كانت ولا تزال معقلهم الديني

والدعوى والفكرى ، متمثلة فى كبار أبنائها وعظماء خريجيهـا من رجال العلم والدعوة والفكر وتم ذلك عن طريق التشاور مع جميع القادة والزعماء ورجال الدين والعلم الذين يمثلون مختلف المذاهب والطبقات •

ولقد أدت الهيئة — التى فيها تمثيل لجميع الجماعات والمنظمات والمذاهب والاتجاهات الإسلامية — دورا كبيرا فى مقاومة المحاولات الهدامة ، والجهود المبذولة ضد الأحوال الشخصية والقضايا الإسلامية ، وهى دائمة النشاطات دائبة الحركة • • وتعقد من حين لآخر حفلات وندوات عامة وخاصة ، وتقوم بجهـد شامل لتحقيق الغرض الذى من أجله أنشئت • ونرجو لها دوام التوفيق والازدهار •

## شجرة الإخلاص (١)

في إحدى الليالي كنت في المجلس في « دهلې » عاصمة الهند وكان هذا المجلس يضم عددا من أهل العلم والثقافة والصحافة ، وتجاذبنا أطراف الأحاديث ، وتطرق الحديث إلى تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ورجالها البارزين ، وكفاح العلماء الهندوس المسلمين في هذا المجال المقدس ، لا سيما الذين قاموا بدور سفينة نجاة بالنسبة للشعب المسلم الهندي في العهد الأخير بعد سقوط الدولة المغولية الإسلامية ، وفي عهد الاستعمار الإنجليزي بالذات فصانوا عقيدته ودينه وشخصيته الإسلامية ، ومنعوه من الذوبان والاندماج والميوعة العقدية والفكرية ، واستطاعوا بتوفيق الله عز وجل وبكفاءتهم العلمية والدينية والفكرية المملوءة بالإخلاص الصانع للمعجزات وخوارق العادات أن لا يدعوا الإسلام يصرع على أرض الهند كما صرع على أرض الأندلس .

وذلك بإيجاد معادل إسلامية منيعة لا ينفع فيها سيف الاستعمار المادى ، ولا جنوده المجندة وبنوده الخفاقة ، ولا أسلحة الأعداء من كل نوع . . . وكان على رأس تلك المعادل دار العلوم في مدينة ديوبند التى قالوا فيها إنها حقا « شجرة الإخلاص » التى غرستها يد الإخلاص ، فأصبحت دوحة وارفة الظلال مترامية الأغصان ، تمتعت بظلالها شبه القارة الهندية والبلاد المجاورة ، ثم العالم الإسلامى بأسره .

لقد دار الحديث طويلا حول هذه الجامعة الإسلامية التى بدأت في صورة مصغرة جدا في مسجد قديم — يرجع تاريخه إلى ما قبل مائة سنة بفضيه واحد اسمه « الملا محمود » وبتمليذ واحد اسمه

---

(١) نشر في العدد : ١٢ / السنة ٧ — يوم ٢٥ / ٤ / ١٩٨٤ م .

« محمود حسن » على حصير بال تحت ظل شجرة رمان ، ثم صارت على هذه الصورة المكبرة ، التي نراها الآن •

ولإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة الإخلاص وسحره العجيب •

ولقد قام على أمرها رجال بسطاء في مآكلهم وملبسهم ومعيشتهم ، زهدوا في الدنيا وزخارفها ، ونذروا حياتهم لله ، يعيشون على كسرة من الخبز الخاف ، ليحدثوا حيلة يمنعون بها الشعب المسلم الهندي من الوقوع فريسة الكيد الذي يحاك ضده ، وليحبطوا مساعي العدو الجبار تجاه تسريب أبناء الإسلام من معسكر سيدنا محمد — ﷺ — إلى معسكر المسيحية المصطنعة والكفر والإلحاد ، ولقد نجحوا في محاولاتهم على رغم العدو ومع أنهم كانوا ولا يملكون من الوسائل والإمكانات المادية أو المسائل الدعائية ، أو الأيدي العاملة ما يحتاج إليه المرء اليوم ليحقق أدنى نتيجة في سبيل الدعوة الإسلامية أو العمل الإسلامي العام •

إن الإخلاص يخلق للإنسان أجنحة كثيرة يطير بها حيث يشاء ، وأيدي كثيرة تعمل في شتى الجهات ، وألسنة عديدة تتكلم مختلف اللغات ، وأرجل عديدة تغدو وتروح في عدد من الجوانب • • بل إنه ينطق الأخرس ، ويسمع الأصم ويمشي الأعرج ، فاقد الرجلين ، ويمنح لفاقد اليدين من قوة العمل والفاعلية ما يكون به مغبوطا لدى من يتمنع بهما • • إنه يجبر كل كسر ، ويوفى كل نقص ، ويكافئ كل وسيلة مفقودة ، ويتلافى كل حيلة غير موجودة ! •

## نطقت خدماتها ..

### فأسهمت الزمان والمكان والتاريخ (١)

إن كل مدرسة ، أو دار علم ، أو مؤسسة ، أو جامعة ، لا بد أن تسبق إقامتها سلسلة طويلة من الإعدادات والتخطيطات ، والمشاريع ، وتوفير الوسائل والإمكانات المادية ، وقد تسبقها دعاوى كبيرة عريضة ، تتحقق حيناً ، أو تبقى أحلاماً وتصورات في دنيا الفكر والخيال حيناً آخر ، ولذلك فإن كل زائر لهذه الجامعة : الجامعة الإسلامية دار لعلوم — ديوبند ( الهند ) تعجبه بدايتها الممتعة ، لقد كانت كتاباً صغيراً كل مادته أستاذ واحد اسمه الملا محمود ، وتلميذ واحد اسمه محمود كذلك ، يجلسان تحت شجرة من أشجار الرمان في مسجد أثرى صغير .. ثم تطورت مع بساطة لازمتها ومازالت ، لكي تتحول جامعة إسلامية كبيرة فريدة بين شقيقاتها في شبه القارة الهندية خاصة ، وفي آسيا والعالم كله عامة .. ولكي تكون أم المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية التي تتحمل مسئولية الحفاظ على الكيان الإسلامي ومহারبة جميع القوى المضادة لمسيرة الدعوة الإسلامية ومد الرسالة الإلهية .

لقد مضى على إنشائها قرن وربع قرن من الزمان ، وهي مدة طويلة ، ومساحة شاسعة في التاريخ ، قطعتها الجامعة في صمت وفي هدوء ، تخرج أجيالاً في العلم ، وتصنع أبطال الإسلام وصقور الدعوة الإسلامية ، ورجالا أكفاء في مجالات الوعظ والتوجيه الديني والتدريس والخطابة والصحافة والكتابة والتأليف والخدمات الاجتماعية ، والقيادة العامة ، ولم تعتن بنشر الأرقام والاحصائيات عبر هذه المدة الطويلة ، ولم تقم بدعايات عن نفسها ، وعن الأعمال الدعوية والتعليمية والفكرية والثقافية والإصلاحية التي حققتها ، حتى صارت ملء شبه القارة الهندية .

---

(١) نشر في العدد : ٤ / السنة ٨ — ١٩٨٤/١١/٢٥ م .



لقد صممت لتكون أعمالها هي التي تتكلم ، وسكتت لتدع خدماتها تنطق ، فنطقت بحيت أسمعت الزمان والمكان والتاريخ ، فلا نعرف مدرسة أو دارا أو جامعة حظيت بالقبول والإعجاب والتقدير والسمعة الطيبة ، بمثل ما حظيت هي في هذه الديار ، لا نعرف مؤسسة تعليمية أو فكرية تركت آثارها في عمق التاريخ وسعته مثل ما تركته هي باستثناء الأزهر الشريف ، ولا نجد تعبيرا أوفى وأروع عن هذا المعنى ، إلا التعبير الذي أطلقه ضيفان مدنيان موفدان عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .. زارا الهند فلاحظا آثار هذه الجامعة وثمارها في كل مكان ، وفي طول المجتمع وعرضه وعمقه ، ثم قصداها فشاهداها بأمر عينيها ، فقالا : والله لكأن المسلمين في الهند ليسوا إلا جامعة ديوبند ، لقد رأينا جامعة ديوبند في كل مكان ، في كل قرية ، وفي كل مدينة ، وفوق كل هضبة وعلى كل سهل .

وهذا ما لاحظته السفير المصري لدى الهند الدكتور « عمرو موسى » لدى زيارته للجامعة ، (١) فأعجب بها للغاية ، وأبدى إعجابه وعجبه — مرارا — في حديثه في حفل التكريم ، وخلال زيارته لمختلف الأقسام والكليات ، وأثناء جولته في الحرم الجامعي ، وفي المكتبة المركزية بصفة خاصة ، قد أدهشه — حفا — أن كتابا ينمو ويتزعرع في صمت ، ليكون مثل هذه الدوحة المترامية الأغصان، المتكاثفة الأوراق ، التي تغطي بظلالها الفكرية والثقافية والدعوية والإصلاحية كل جزء من أجزاء هذه القارة .

ولكنه زال بعض عجبه عندما سمع بعض حلقة من قصة إخلاص مؤسسيها وأبنائها وهو يجول في الجناح الخاص بمؤلفات بناتها وأبنائها في المكتبة اركزية ..

ولقد أعجبه بصفة خاصة بداية الجامعة ، هذه البداية البسيطة

---

(١) كانت زيارته للجامعة في ١٣/١١/١٩٨٤ م .

الرائعة ، التي عبر عنها هو بالبداية الشعرية اللطيفة : لقد بدأت بمدرس واحد وبتلميذ واحد يجلسان تحت شجرة في فناء مسجد ، ليضعا لبنة أولى للقلعة الإسلامية المنيعه التي أراد أن يبنوها مجموعة من المخلصين للدعوة الإسلامية كي تربي داخلها جنودا مؤمنين ، يهجمون منها على أوكار الجاهلية في هذه البلاد وفي كل مكان .. وقد نجحت الخطة ، وأعطت ثمرها المرجوة ، وقطفتها الدعوة الإسلامية في هذه الديار ، في صورة تتلج اليوم صدر كل من زار هذه القارة ، أو سمع عنها ، أو قرأ أخبارها ..



## تحية من بهسمى الهند إلى الشعب الأفغانى المؤمن .. (١)

وسط خصم المحزنات المبكيات التى تتساقط علينا أنباؤها من كل حذب وصوب يثلج صدورنا ما نتسامع به من قصة صمود الإيمان فى وجه التكنولوجيا الحديثة على أرض أفغانستان .. وهى من أحلى قصص البطولة والفداء ، ومن أروع فصول مواقف الإيمان حين تخالط بشأسته القلوب ..

إنها حقا أجمل أمثلة الحب وصدق الولاء والوفاء للإسلام نظيرها فى تاريخنا القريب ، إذ استثنينا مواقف البطولة النادرة والشجاعة المثالية للسادة السنوسيين ، والإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد وأتباعه ..

إن الشعب الأفغانى ضرب أروع الأمثلة فى الجهاد والصبر ، منذ أولى لحظات التدخل العسكرى السوفياتى الشيوعى ، الكافر الفاجر ، الغاشم الغادر ، وحتى الآن .. وإنه مع طول فترة العناء والمرابطة على الشعر الإيمانى لم يتكاسل ، ولم يتوان ، ولم تفتر همته .. والضربات القاسية التى يلاقىها لم تستطع أن تفت فى عضده ، وإنما زادته قوة وصلابة ، وتماسكا ومثابرة ، ورفعت من معنوياته وروحه القتالية الصمودية .. وذلك هو شأن الإيمان حين يحنك بالكفر ، ويتصارع مع الجاهلية .. إن درجة حرارته ترتفع كلما يواجه مقاومة ويقابل بالضغط ، كالنار يضربها الرجل برجليه أو يرش عليها الماء — يحاول إطفاءها — فتشرب .

ونحن نعيش هذه التجربة فى بلادنا التى تجرى فيها — دائما — عمليات الاحتكاك بين الشعب المسلم والوثنيين عباد البقر ، فنترصد الإنسان المسلم قوة وصلابة فى الدين ، ورجوعا إلى الله ، وإقبالا

---

(١) نشر فى العدد : ٣ / السنة ٦ — يوم ٢٥ / نوفمبر ١٩٨٢ م .

على أحكام الإسلام .. وظاهرة الاحتكاك والصراع هذه ربما أكسبت المسلمين في الهند روح التشبث بأهداب الدين وجعلتهم قد يفوقون في رقة الوعي والعاطفة والحماس الديني ، إخوانهم في بعض البلاد الأخرى التي لا تعيش هذه التجربة .

لقد كنا نسمع منذ نعومة أظفارنا عن شدة الغيرة الدينية التي يتميز بها الشعب الأفغاني ، وكنا نقرأ ونحن نجتاز مرحلة التحصيل في المدرسة الابتدائية أبيات الشاعر الإسلامي الدكتور « محمد إقبال » التي أشاد فيها بذكر تلك الغيرة العميقة الجذور في قلوب الأفغان ، فلا نغير ذلك اهتماما ، ولا نفهم له معنى ، حتى حدث غزو السوفييت — ذلك الدب الأحمر الخبيث — لأفغانستان المسلمة الشقيقة ، فأغنانا الشعب الأفغاني المؤمن الباسل بمواقفه الإيمانية العجيبة عن كل شرح وبيان ..

إن الأفغان لا يعرفون في قواميس حياتهم إلا الإسلام والإيمان إنهم يعيشون مسلمين ، ويفضلون أن يموتوا قبل أن تشرق عليهم شمس يوم ينتكرون فيه للإسلام ويغيرون عنه الولاء لأي ديانة ملحدة ، أو فلسفة كافرة ، أو دعوة فاجرة ، وهم من أقوى الأمم على أرض الله ، عرفوا بالصلابة وشدة الشكيمة وقوة الصمود ، والتفاني للعقيدة التي احتضنتها والدعوة التي آمنوا بها منذ أقدم الزمان .. إنهم لقنوا كل من غزاهم أقسى الدروس منذ عصر الإسكندر إلى عصر بريطانية العظمى ، مما أحوج الغزاة إلى أن يدفعوا أبهظ ثمن لتخبطهم وتورطهم في القيام بالزحف .

ولذلك فالجيش السوفياتي رغم ازدياد عدده — أضعافا — على ما كان عليه عند بداية الغزو ، ورغم أسلحته الحديثة ، وعدده المتوفرة ، وأمداده المتتابعة ، ورغم ما اتصف به من البربرية والوحشية والتدمير والتخريب ، لم يستطع أن يلين قناة الشعب الأفغاني ، ولم ينجح في كسر حدة المقاومة المؤمنة وفي تطويعها للمذهب الشيوعي ..

وإن الجنود الحمر يمثلون ذعرا وهلما داخل حامياتهم العسكرية ، ولقد انخفضت معنوياتهم إلى أدنى درجة ٠٠ وتحمل إلينا الأنباء — من حين لآخر — انتصارات الإيمان الرائعة ، وروائع الهجمات الموفقة التى تلقى فيها القوات الحمر مصرعها المحتوم •

وقد نشرت الصحف فى الأيام الأخيرة نبأ اختناق ٢٠٠٠ أفغانى موالين للغزو الأحمر ، و ٧٠٠ جندى سوفيتى نتيجة توهم وقوع عملية فدائية ٠٠ وكم نشرت الصحف أنباء الأفغان المجاهدين لأسلحة العدو بأساليب لبقه ، وخدعة ذكية ، وهناورة بارعة تمدها فراسة الإيمان ، يشنون بها الهجوم على معسكرات الروس ويسقطون بها طائرتهم القتالية الحديثة •

وقد كسب المجاهدون استجابة طيبة فيما بين جيش الحكومة الأفغانية ، المسيرة بروسيا والمالية لها ، حتى تواتر النبأ أخيرا عن انخفاض خطير فى الجيش الأفغانى ، مما اضطر السوفيات إلى القيام بزيادة عدد قواتهم الغازية لمواجهة الهجمات العنيفة التى يشنها المجاهدون ٠٠

وكذلك كان التجاوب الطيب من جميع دول عدم الانحياز ، ومن الدول الإسلامية والعربية — ماعدا اليمن الجنوبية وسوريا وليبيا — حيث أعربت عن شجب واستنكار عام •

وأما العقيد الليبى « القذافى » الذى عرف منذ اليوم الأول بابتعاده وشذوذه عن الموقف الإسلامى ، فقد كان أكثر من أيد الإجراءات السوفياتية فى كل من أفغانستان وبولندا ، ولا غرو فالشئ من معدنه لا يستغرب •

إننا ننشد العالم الإسلامى ألا يفوت الفرصة ، ولا يخسر الجولة فى أفغانستان ، كما خسرها — فى فلسطين ولبنان وأريتريا وشتى الأنحاء ٠٠ وإذا كان الأفغان بدورهم قد أثبتوا غيرتهم الإسلامية وتفانيهم واستماتتهم العجيبة على ساحة المعركة فعلى المسلمين فى كافة الأنحاء أن يكونوا بجانبهم بالتحرك العملى المثمر

حتى لا تكون باكستان المسلمة وحدها متحملة للأعباء التي بدأت تترك على اقتصادها آثارا سيئة ، من أجل إيواء مليونين ونصف مليون من اللاجئين الأفغان ، وحتى لا يدفع ذلك باكستان إلى أن تستعد — لا قدر الله ذلك — لتقديم بعض تنازلات ، لاسيما موسكو تحاول — بحيلة أو بأخرى كسب الوقت من أجل جلب تعزيزات عسكرية إلى أفغانستان ، بغية القضاء نهائيا على المجاهدين .. ولئن مات بريجنيف وجاء اندروپوف ، فذلك لا يغير في الموقف شيئا ، لأن سياسة الدول العظمى لا تتبدل بغياب القادة عن الساحة .

فهل من مجيب ؟

## درس لمسلمي الهند :

### إنهم في أفغانستان سدا عاليا أمام سيل عارم (١)

يدهش المرء حقا عند ما يرى المجاهدين الأفغان يصمدون في وجه إحدى القوتين العظميين منذ ست سنوات ، وهم لا يحملون من الأسلحة والعتاد إلا ما يعادل الصفر بالقياس إلى أسلحتها الجبارة التقليدية والحديثة ، التي أنتجتها تكنولوجيتها المتطورة الراقية .. ولكن يزول العجب عند ما يعلم أن الإيمان بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد — ﷺ — نبيا ورسولا هو الذي جعلهم يصمدون هذا الصمود .. وإن الإيمان الحى هو سبب العطاء الدائم وصانع المعجزات في كل زمان ومكان .

إن المجاهدين الأفغان أثبتوا عبر ست سنوات وسيثبتون بعدها كذلك ، أن الإيمان الأعزل — إذا أخلص صاحبه النية وأراد أن تكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى — يستطيع دائما ومهما تقدم أبناء الزمان أو تخلفوا أن يصمد في وجه الكفر والإلحاد المسلح بكل أنواع الأسلحة .. إن السماء والأرض ستسجلان بحروف من نور قصة البطولة الأفغانية المعاصرة ، لكى تكون ذكرى وعبرة للأجيال المتلاحقة ، تحكى لهم كيف استطاعت مجموعة من المجاهدين العزل ، الذين لا يجدون ما يسدون به حاجاتهم المتواضعة ، فضلا عن الأسلحة والعتاد الذى يدافعون به أو يهاجمون ، كيف استطاعت أن تصمد هذا الصمود في وجه قوة عظمى في العالم .. إذا إنه الإيمان المتغلغل في الأحشاء ، المسيطر على الجوارح ، الفاعل فعلة في القلوب ، إنه الإيمان يحارب الكفر الذى لا يستطيع أن يعطى صاحبه القوة والثقة والمناعة والقناعة .. وكم من فئة

---

(١) نشر في العدد : ٨ / السنة ٩ — يوم ١٠ / ١ / ١٩٨٦ م .



قليلة العدد والعدد صابرة محتسبة غلبت فئة كثيرة العدد والعدد باغية كافرة فاجرة بإذن الله •

ولو أن ما يصنعه المجاهدون الأفغان لا يعدو مجرد صمود في وجه هذه القوة الجبارة الهائلة الفائقة عليهم بكل مقاييس القوة المادية لكان موضع الاستغراب والسرور •• فما بالك إذا وضعت في الاعتبار ما تفيدته التقارير الحديثة عن وضع الجهاد الأفغانى مع تلك القوة الكافرة والكثرة الفاجرة ، من أنه في مقابل كل مجاهد أفغانى يسقط شهيدا على ساحة الجهاد ، في مقابله يذهب إلى نار جهنم خمسة من جنود الإلحاد الشيوعى ، وأن الاتحاد السوفيتى يخسر كل عام عددا من المليارات من العملة الصعبة ، التى يستغرقها الإنفاق على إمداد نحو مائة وعشرين ألف جندى بالتموين والسلاح والإنفاق على الحكومة المأجورة الملحدة الباغية القائمة على أكتاف الشيوعية السوفيتية الحمراء الخبيثة فى « كابول » بقيادة العمين المطيع « بابر كاركميل » وأن المجاهدين لا يحصلون إلا على خمسة عشر فى المائة ( ١٥٪ ) من احتياجاتهم الحقيقية ، وأن معظم الأسلحة التى يحاربون بها إنما ينزعونها من أسرى الاتحاد السوفيتى ومهزوميه وقتلاه •

ويعظم صنيع هؤلاء المجاهدين الصابرين المحتسبين بدرجات ممتازة إذا أخذنا فى الاعتبار أنهم بجهادهم وصمودهم أمام هذه القوة الكافرة لا ينفذون أفغانستان المسلمة فقط من مخالب روسيا القذرة ، ولا يعملون على إبقاء هويتها الإسلامية وطابعها الإسلامى فقط ، وإنما هم — بجانب ذلك — يبنون سدا عاليا أمام سيل الشيوعية العرمرم المتجه إلى جميع البلدان والأقطار الإسلامية المجاورة ، وعلى رأسها وفى طليعتها باكستان •• وهن يعرف التقارير والتحليلات العالمية التى صدرت عقب اجتماع القمة بين العملاقين فى الأيام الأخيرة يعلم أن واشنطن أعطت الكريملين الضوء الأخضر للامتداد فى هذا الاتجاه ، انطلاقا من أساس توزيع مناطق النفوذ بينهما ، وجعلهما شعوب الأرض ككرة تتقاذفانها فى قسوة ، ودونما

رحمة ، مع تحديد ميعاد بينهما لرميها في مرمى الأخرى بهدف التعادل بينهما في مباراة تجربة القوة وموازنة الرعب .

ولو رأينا القضية في هذا الإطار الشامل الواسع الواقعي لعرفنا مدى ضخامة المسؤولية التي تجب على المسلمين جميعا نصو إخوانهم المجاهدين الأفغان .. وعرفنا بعد استعراض عابر مدى تقصيرهم في أدائها ومدى إهمالهم للقيام بالواجب عليهم في هذه المعركة المصيرية الدائرة بين الكفر والإسلام .

إن المسلمين — ولا تقتصرهم بفضل من الله القدرة المالية والبشرية والقتالية — لو أدوا عشر معشار المسؤولية الواجبة عليهم تجاه هؤلاء المجاهدين لكان شأن هذه المعركة غير شأنها الآن .. ولو أنهم شعروا بمسئوليتهم شعورا عمليا مثمرا نحو القضية الفلسطينية لما طال أمر تحرير المسجد الأقصى ، واستعادة الأرض العربية المحتلة لهذا الأمد .. ولكننا تعودنا التقصير والإهمال والغفلة في جميع الأمور بسبب غياب الوعي الإسلامي والشعور الديني والغيرة العقدية والحمية الإيمانية ..

يجب على المسلمين جميعا أن يعيشوا مع القضية الأفغانية على اختلاف طبقاتهم وقطاعاتهم ، لأنهم مسئولون عن ذلك أمام ربهم العظيم .. وليشعروا في هذا الصدد عظيم المسؤولية ، وخطورة القضية ، ولا يقصروا في أي عون يستطيعون تقديمه على أي مستوى ..

وإن شعبنا الهندي المسلم الذي يزداد عدده عن عدد المجاهدين الأفغان سبعة أضعاف ، يستطيع أن يستفيد من الدرس الأفغاني ويستوعبه .. فقط أن يقرر الإقلاع من مستقم السكون والفرقة وحب الحياة .. حتى الموت ..



ومرة أخرى نقول لشعبنا الهندي المسلم — مستفيدين من هؤلاء  
الآفغان — :

والموت هو الذي يخافه الإنسان ، ولا يخاف الموت إلا من لا يفهم الموت ، فإنها  
 الموت هو الذي يؤلمه بهيئته وعقوبته ، والذي لا يخاف الموت لا يخاف  
 عدو ولا مهما كان ولا يخاف قوة مهما كانت عجيبة عظيمة ، ولا يخاف  
 شيء وهو قليل أعزال منه كثير ، فهما كل واحد جنتا بكل نوع من الاعتناء  
 والمعدات ، والقليل غير الخائف من الموت أقوى برصيده المتشويش ،  
 من الكثير الذي يخاف الموت رغم ما يملكه من الجنود والبنود ،  
 والحوال والطول ، والأمداد التي لا تنفد ، ووسائل التكرير والدهاء ،  
 والخبث والجد ، والخفايا ، والتعذيب الوحشية ، ولا يخاف الموت  
 وعندنا من الذي يخاف الموت ، والذي لا يخاف الموت ، ولا يخاف الموت ، ولا  
 بالخيار ، يرى الأول من الثاني موقفا كل تعذيب ، أو كله معجزة ،  
 قد هزل له عندما يقارن بين غنايته في العدد والعدد ، وفقر خصمه  
 في ذلك ، وكم من مرة في التاريخ الإنساني في التاريخ الإسلامي  
 بالذات - وقف الدهر ليسجل بحروف من نور ، موقف القليل الأعزل  
 المعجز ، تجاه الكثير المتحجم بالوسائل والمعدات ، وكم من مرة وقف  
 حاشيا أنفاسه عندما رأى القليل المفلس في المعدات الحربية ،  
 يصطدم بالكثير ذي الجيش الجرار والمعد الهائلة ، ورأى القليل  
 أن نسبته من هذا الكثير كنسبة قطرة من اليم ، وكل المؤشرات

الظاهرة تؤكد أن القليل يمكن أن يكون بعد دقائيق لقمم سائفة الكثير الذي  
يبتلع عن آخره وهو الكثرة سجل في خريفه وعجائبه افتحة تارة على  
الكثرة المحضلة وأخرها كتب كل الظنون عداها حصره في خصلته

ذلك لأن الكثير في ظاهره كان قليلاً في باطنه ، وكان يبدو قوياً ولكنه كان في حقيقته ضعيفاً ، كان مثلاً بالوسائل والمعدات ولكنه

كان أعزل مفلسا في الرصيد المعنوي ، الذي هو أقوى الوسائل ، والآلات التي لا تخون ، وأمضى الأسلحة التي لا تعرف الانكسار والمفوق .

إن المرء لا يحارب بالوسائل والكثرة الكاثرة من المعدات والآلات ، بمثل ما يحارب بما حذقه من صناعة الموت التي لا يعرفها خصمه ، ولا يحارب إلا بقوة العقيدة الملهمة للأفكار والمشاعر والأحاسيس ، وبقوة الهدف الدفاق الذي يخلق فيه القوة والمزينة والتصميم على المضي نحو الغاية بحيث لا يقف في سبيله شيء من العقبات .

وإن ذلك هو الذي نلمسه اليوم في موقف الشعب الأفغاني المؤمن تجاه إحدى القوتين العظميين في العالم الإنساني المعاصر ، القوة السوفياتية الجبارة التي أخضعت كثيرا من الدول ، وقهرت كثيرا من جحافل الجيوش في العالم ، ولكنها لم تستطع عبر مدة خمس سنوات أن تثلن قناة هذا الشعب الأبي الغيور ، الذي نهض بجابه أحدث الأسلحة الجبارة ببنادق بدائية ، ويصمد في وجه الجيش المرمم الذي لديه كل ما اخترعه العلم الحديث من آلات الإبادة والتدمير والتكتيك الحربي والاستراتيجية العسكرية .. نهض الإيمان الأعزل الذي لا يخاف الموت ليحارب الإلحاد المسلح الذي يخاف شبح الموت ، والنتيجة معلومة لدى الجميع .. إن هذا الشعب أضاف إلى تاريخ المعجزات التي صنعها الإيمان والعقيدة عبر الزمن صفحات ناصعة البياض سطرها بدمه القاني الزكي ..

وهنيأ لهذا الشعب هذا الصمود والتفاني ، وهذا النضال الباسل الفريد ، وليصدق فيه ظن المؤمن في كل مكان ، وليثبت كالطود الأسم الشامخ في وجه الاستعمار الملحد الوحشي الذي لا يرى في مؤمن - بل ولا في إنسان - إلا ولا ذمة .

إن موقف الشعب الأفغاني المؤمن الذي عرف في تاريخه بحذقه صناعة الموت ، إن موقفه هذا الشجاع الفريد في التاريخ الإسلامي

المعاصر من إحدى القوتين العملاقتين في العصر الحاضر قد دل مرة أخرى على أن القليل يستطيع أن يضيق خناق الكثير ، وأن الأعزل قد ينتصر على المسلح ، وأن الضعيف قد يغلب القوة ، وأن أمة إذا نهضت بكل إرادتها ومقوماتها الإيمانية ورصيدها المعنوي لتقرر مصيرها بنفسها ، ولتكتب صفحات حطها بأيديها ، وتصمم على أنها إما أن تبقى عزيزة •• مكرمة شامخة لا تقبل الذل والهوان والخضوع والتبعية ، وأن تبقى بكل أصالتها التاريخية والحضارية والثقافية والدينية والعقيدية ، أو تموت دون ذلك ، وتضحى في سبيله بأخر قطرة من دمها ، فعندها لا تستطيع أقوى قوة أن تخضعها لما تريد ، أو أن تصرفها عن إرادتها ، ولو استخدمت كل ما تملكه من قوة الحديد والنار ووسائل الإبادة والتدمير ، أو الوحشية والتعذيب •

وليسجل التاريخ مرة أخرى هذا الموقف المشرف لهذا الشعب الذي رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، وليشهد الزمان أنه قد نهض ليوقى ما عاهد عليه الله ، فمنه من قضى نحبه ومنه من ينتظر ، وما بدل تبديلاً •

في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند

## الفهرس

### الموضوع الصفحة

١- القوة الأخلاقية وأدب الضمير أيها المسلمون في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
٢- محنة المسلمين في الهند في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
٣- استمرار الاضطرابات الطائفية في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
٤- التحويل الهندوكي الجديد لا يرى للمسلم الهندي حق في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
البقاء في الهند

٥- نحو دوانية لأسباب الاضطرابات الطائفية في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند  
٦- وراء الاضطرابات الطائفية في الهند في سنة ١٩٠٤م بمجلسه العامة في الهند ما راجع الى وضعه في الهند

- ٣٥ — المجزرة الوحشية
- ٣٧ — أصيلة وليست دخلية
- ٤٧ — يتحدون رغم جميع الأسباب المفرقة
- ٥٣ — اللهم لا تسلط علينا نظاما يعد الأنفاس
- ٥٥ — إلى رشدكم يا قومنا
- ٦١ — وكانت الضجة على حق
- ٦٥ — لو زرت هذه المدارس لرأيت عجا
- ٦٩ — قلاع حصينة للدين

الصفحة	الموضوع
٧١	— ماذا تعنى المدرسة فى الهند
٧٥	— قصة المدارس والجامعات الإسلامية والأهلية فى شبه القارة الهندية
٨١	الهيئة الخيرية المعطاءة
٨٥	— شجرة الاخلاص
٨٧	— نطقت خدماتها فأسمعت الزمان والمكان والتاريخ
٩١	— تحية من مسلمى الهند الى الشعب الأفغانى المؤمن
٩٥	— درس لمسلمى الهند إنهم فى أفغانستان سد عال أمام سيل عارم





## هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب قصة اضطهاد المسلمين في الهند ، فإن المسلم الهندي يعيش تجربة غير التي يعيشها المسلمون في البلاد التي يشكل المسلمون فيها أقلية - إنها من تجارب محاولة الإبادة والتشريد أو الغزو الفكري والعقيدى والثقافى والحضارى .

إنه يعيش سلسلة لا متناهية من الاضطرابات الطائفية والتصادم العنيف الذى تفرضه عليه الأغلبية الهندوكية الوثنية ضد المسلمين في أرجاء الهند ، ويبدو أن الهندوس في الهند مدنين وحكاماً وسلطات قرروا أن يقوموا بتكرير قصة الأندلس مع المسلمين الهنود وأن يقضوا عليهم .

إن هناك قضيتين تأتيان على رأس قائمة القضايا التى تهم الشعب الإسلامى الهندى هما قضية الأحوال الشخصية للمسلمين وقضية اللغة الأردية وهما تستقطبان القدر الأكبر من اهتمام المسلمين .

والله من وراء القصد ،

الناشر

دار الصحوة

٧ ش السراى بالنيل . ت : ٩٨٧٩٢٤

حدائق حلوان . ت : ٦٨٨٠٧١

القاهرة